السحر والعلاج في السودان في عهد الإدارة المصرية (١٨٢١-١٨٨٥) (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

محمد صابر بكر مناع
باحث دكتوراه
كلية الآداب جامعة أسوان

إن أكثر الظواهر التي لاحظتها هو الإعتقاد الخاص بتأثير السحر في الأشخاص الذين يعانون من الأمراض لدي الشعوب السودانية خلال عهد الإدارة المصرية، إن الأمر يكاد لا يختلف في الشمال العربي المسلم عن الجنوب الوثني، وإن كان في الجنوب أكثر ترسخاً.

فإلي أي مدي انتشرت العادات الخرافية في السودان؟ وكيف كانت نظرة المجتمع السوداني للمرض؟ وهل اختلف المعالجون بالسحر في الشمال المسلم عن الجنوب الوثني؟ وما هي وسائلهم وأدواتهم في العلاج؟ وهل كانت طقوس العلاج السحرية متشابهه في جميع أنحاء السودان؟ أم أن الأمر كان مختلفاً وفقاً للخلفية الثقافية والدينية للجماعات الأثنية؟ وإذا صح الافتراض الثاني، فما هي أوجه هذه الأختلافات؟ كما نلاحظ أن السحرة جمعوا هدايا ثمينة، وجنوا أرباحاً هائلة من ممارستهم للعلاج بالسحر، فكيف كان يتم مكافأة السحرة ؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات تتطلب منا رصد علاقة السحر بالعلاج

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد يوليو ٢٠٢٠، الجزء الأول.

في السودان، وتوضيح فن العلاج بالسحر، والطقوس المرتبطة به، ومكانة السحرة لدي المجتمع السوداني[١].

أولاً- المجتمع السوداني والسحر:

كانت العادات الخرافية المنتشرة بين أهالي مديريات السودان انعكاساً للوضع الثقافي الذي كان يعيشه الشرق بصفة عامة والسودان بصفة خاصة، وكان في مقدمة هذه الخرافات اعتقادهم أن وراء المرض السحر أوالخطيئة.

١. انتشار العادات الخرافية.

يقول نعوم شقير واصفاً أهل السودان " يكثرون من لبس الأحجبة، ويضعونها في علب صغيرة من الذهب، أو الفضه أو الجلد أو الحرير ويلبسونها في زنودهم، أو يعلقونها في رقابهم، فيدلونها إلي ما تحت الآباط أو الركب، وبعض النساء يعلقنها بشعر الرأس أو الحجاب، وذلك لدرء العين والجن والرصاص والأمراض. وبالإجمال، لجلب كل نافع، ودفع كل ضار. فهم يعلقون حرزاً لكل شئ يخافون عليه من العين؛ فتري في كل منزل جديد فوق عتبة الدار صحناً من الصيني وفي كل بستان زاهر تمثالاً من الخشب أو هيكلاً من العظام. وفي عنق كل دابة سمينة حذاءً صغيراً أو جرفة زرقاء لدرء العين. ويتشاءمون من الأعور والأعرج وكل ذي عاهة، ووفق مخيلتهم كان استعمال الإبرة ليلاً مجلبة للعمي، والكناسة ليلاً مجلبة للموت"[٢].

وقد كانت الخرافات والممارسات المتعلقة بها منتشرةً ومؤمناً بها في السودان بشكل عامّ. علي سبيل المثال، كانت قبائل البجة، توقد النار أربعين يوماً أمام المنزل حين يولد طفل، وقد تكون المدة أقل من ذلك أو ربما يكتفي أحياناً بإيقاد مصباح أمام الدار، وذلك لطرد الجن عن الأم النفساء التي تكون عرضة للأذي من هذه الكائنات طوال مدة النفاس[٣]. وإذا شكا طفل من وجع علي حين غفلة، ولم يروا السبب قالوا أصيب بالعين. ولمعرفة المصيب كانوا يسيلون قطعة من الشب مع قليل من الملح، والقرض، والكمون علي النار،

ويبخرون بها المصاب، ثم يرشون الماء عليه فيجمد ويتكيف بصورة يستدلون بها علي المصيب وفق مخيلتهم، فإذا اشتبهوا بأحد أخذوا قطعة من ثوبه وأحرقوها وبخروا بها الطفل، ثم رموا الشب من وراء ظهورهم في قارعة الطريق. وإذا عطس شخص فوق مريض أخذوا عوداً وقطعوه نصفين ورموا قطعة إلي جنبه الأيمن وقطعة إلي جنبه الأيسر، خوفاً من موته أو ازدياد مرضه[٤].

وقد كانت المرأة السودانية بشكل خاص أكثر تطبيقاً لهذه الخرافات. علي سبيل المثال، كانت تقوم عند الوضع بالتسلل تحت جسد جمل قوي، لاعتقادها بأن المرور بين الأرجل الأمامية والأرجل الخلفية ستمنح طفلها قوة حيوان. كذلك كان يتم خدش الرضع الصغار طوليًا بشفرة الحلاقة أسفل الظهر والبطن، لتحسين بنية الجسم[٥].

وكانت كُلّ أيام الأربعاء عند السودانيين تُعتبر أياماً سيئة الحظ وغير محبوبة، خصوصاً الأربعاء الأخير في الشهرِ، وكان الأربعاء الأخير في السَنَةِ أسوأهم علي الأطلاق[٦]. وفي لادو الواقعة جنوب السودان، كان يجب دائما إرسال الغذاء على الصواني، مغطّي بقماش وذلك للحماية من العين الشرّيرة[٧]. وفي داره أيضاً كانت تغطي صينية الطعام دائما بقماش أو غطاء، وذلك لحماية المأكولات من العين الشرّيرة[٨]. وفي كردفان كان الأهالي يذهبون في أوقات الجفاف في نهاية الصيف إلي قمة احد الجبال ويذبحون بقرة ويحمصونها ويأكلونها، ثم يضعون ملابسهم ويعتقدون أن هذا الأمر سيجلب لهم المطر حالاً[٩].

وفي الجنوب أيضاً، كانت قبائل الشلك تعالج سحر العين بادخال مسمار محمي في عين عنزة سعياً وراء إبطاله، ولكي تطمس عين الحاسد في نفس الوقت الذي تطمس فيه عين العنزة، وإذ لم يطمس عين الحاسد؛ فهذا يعني أن السحر لايزال قائماً. الأمر الذي يتطلب تقديم مزيد من القرابين لاسترضاء الألهة. أما قبائل النيام نيام القاطنة في بحر الغزال، فقد كانت بعض قبائلهم يأكلون لحم البشر؛ فإذا مرض أحدهم وغلب عليهم اليأس من

شفائه، فعندئذ تقوم قبيلته بتسليمه إلي القبيلة الأخري لتأكله، وأيضاً تفعل القبيلة الأخري نفس الشئ حيث تسلم مريضها إليها، وهم يرون في أكل الإنسان أسمي شأناً من دفنه في القبر أو حرقه في النار، كما أنهم يرون في ذلك راحة لهم من عناء إنشاء مقابر وإجراء احتياطات صحية(١٠).

وفي الأنيروا، إذا دخلت إمرأة البيت أولاً في الصباح، تعتبر علامة جيدة؛ بينما إذا دخل الرجل أولاً يعتبر العكس، وكان كسوف الشمس عندهم علامة علي موت الحاكم. وعند الإنتقال من بيت إلى آخر، إذا كسر أي شئ أو سقطت إمرأة في الطّريق، تعود العائلة إلى البيت الذي ترك. وإذا صادف المحاربون، علي بدء الحملة العسكرية جاموسًا في الطريق، أو طير غينيا فإن هذا ينبّئ بموت العديد من الرجال. وإذا نزلت العقبان على قمة بيت رجل سيّئ، فسيستلم الهدايا والهدايا الثمينة، ويسبب ذبح العقبان والغربان مرضاً(١١). وكانت قبائل الشلك تقتل الملك إذا بلغ الشيخوخة والوهن؛ حيث إعتقدوا أنه كلما ضعفت حيوية الملك مرض الرجال، وانتشر بينهم الموت وفسدت المحاصيل(١٢).

وعند قبائل الدينكا، لم يكن يسمح للرجل أن يلتمس زوجته في العشيرة المنتمي إليها، ولا يجوز له أيضاً أن يقترن من امرأة تمت بصلة القرابة إلي والدته فهذا الزواج في تقديرهم من المحرمات، بل من الكبائر التي تجلب غضب أرواح السلف (جوك Jok) والتي ينتج عنها وفاة الأطفال أو عقم الزوجات بالإضافة إلي الوبال والدمار. ولو حدث ذلك فالعرف يقضي علي الرجل أن يقدم فدية من أربعة رؤوس من الماشية، ويمسح جسد الآثمين ببعض السوائل المستخرجة من بطن الذبيحة(١٣). وقد ارتبط السحر بكل شئ عند اهالي القبائل في الجنوب. فعندما حارب بيكر الباري اعتقدوا ان البنادق كوجورcojoor، أو سحر. بل وإنهم اعتبروا بيكر نفسه "كوجور"(١٤).

وفي أوغندا(*)، كانت قوّة وعظمة الملك و سعادة أهالي المملكة، مرتبطة بإسترضاء الأرواح المخفية. علي سبيل المثال، عندما مرض الملك

كومارسي أو أى من أعضاء العائلة المالكة، كان يضحي بثورين، أبيض و أحمر لإسترضاء الأرواح. وفي حالة عدم الرضا، كان يقدم بعد ذلك ضحايا من البشر، بالأعداد الكبيرة، وقد زوولت هذه العادة من عهد بعيد؛ فالملك سونا Suuna ملك أوغندا، ووالد ميتسيا Mtesa عندما هوجم بداء، قدم ١٠٠ شخص بشكل يومي قرباناً لإسترضاء الأرواح بهدف العلاج ؛ وذلك لمدة خمسة عشر يوماً[١٥]. علي أية حال، انتشرت العادات الخرافية المرتبطة بالمرض في كل أنحاء السودان، وإن اختلفت هذه العادات من قبيلة إلي أخري[١٦].

٢. نظرة المجتمع السوداني للمرض.

عاش الانسان السوداني في بيئة يسيطر عليها الدين والآلهة، ومن حوله عدد من الجن والشياطين الأخري، مسؤولة عن الأمراض التي يعانيها الإنسان. لذا تميز الطب بالجمع بين العلاج الظاهري الذي يبذل المرء قصاري جهده ليحكم بفائدته، وبين التعازيم التي تدلل علي التقاليد السحرية والدينية أكثر من كونها مبادئ إكلينيكية أو عقلية[١٧]. نستنتج من ذلك أن أسباب المرض من وجهة نظر الأهالي تقع في مستويين : مستوي افتراضي ومستوي أخر طبي حقيقي تتنوع فيه الأدوية المستمدة من أصل نباتي أو معدني أو المستخلصة من أعضاء حيوانات كثيرة التنوع. أما في مجال التطبيق فيظل هناك دورٌ للسحر والدين؛ فالحركة الأساسية الأولي هي تسمية الشر، والتحقق من إماطة الغموض الذي يحيط بالمرض، وفي الوقت نفسه تعيين الإله القدير أو المسئول الذي يستحق الأبتهال، والحركة الثانية هي تقديم القربان ؛ كطقس[١٨].

وكانت هذه الألهة التي تستطيع من جهة أن تحدث الأمراض غضباً أو انتقاماً أو عقاباً علي انتهاك المقدسات، هي نفسها التي تشفي من هذه الأمراض[١٩]. فالوصول المفاجئ المفقر للجراد الطائر، أو مرض الطاعون، أو أيّ كارثة أخري غير متوقّعة كان ينسب إلى غضب الله[٢٠].

أما بالنسبة للعلاج عند عرب السودان فيعتبر : " الإيمان" هو الدواء المفترض الذي يعالج العربي. مهما كانت الشكوى المقدمة من المرض، فهو

يذهب إلى الفقيه Fakes لكي يعالجه، وتعتبر التعويذة هي أبرز أدواته وهي تقدم إلي جميع الحالات، وكان االفقهاء أو الفقرا أيضاً يستطيعون دمج المسهلات وتقديم المسكنات، أو دواء معرق (مسبباً للعرق)، والمقيئات، وغيرها من الأشياء. وقد اعتقد السودانيون أن وراء المرض الخطيئة. وقد اشتهروا بالتدين العميق، فعند العودة من مكة علي سبيل المثال، بعد أداء مناسك الحج، كان الحاج يقوم بشراء عدد من التمائم والعزائم التي تحمل بعض الأيات القرآنية، ويهديها إلي أصدقائه وأهلة بإعتبارها تحفظهم ضد بعض الأمراض، وكان يتم استقبالها بالخشوع الشديد[٢١].

وأيضاً، اعتقد الأهالي المسلمون في السودان في أن جلب الصحة وطرد المرض يكون من خلال التقرب إلى الأولياء، وإقامة طقوس الزيارة إلى أضرحتهم، وتقديم القرابين إليهم،وطلب الشفاء لمرضاهم، أو لمن كانت عاقرا بأن ترزق بالولد والعانس بأن تتزوج....إلخ. وكانت الأمراض النفسية والعقلية كلها من اختصاص الفقرا لأنها كانت في مخيلتهم من فعل الجان ولا يقدر أحد علي إخراجه إلا الفقرا والأولياء. أما المرضي فكانوا يذهبون إلي النساء الشيخات من الوسطاء لتحضير أرواح بعض الأولياء والجن وملوك الحبش وبعض شخصيات أسطورية يعتقدون أنها ركبت المريض ولا تخرج منه إلا بعد أن يقدم لها بعض الطلبات وكان معظم شيوخ أو وسطاء الزار من النساء إلا في القليل، ومن هؤلاء اشتهر الشيخ المبارك من دويم ود حاج، والذي شكا اليه الشاعر، قائلاً :

المبارك شيخ الزهر العليك سوسقت وفتر

شوفني جنيت والا دستر[*]

أما الطفل الذي كان يولد معوقاً أي إنه لا يستطيع أن يمشي أو يتحدث أو أن جسمه لا ينمو كأقرانه فذاك يسمي (مبدلاً)؛ أي إن الجن قد أخذوا ابن بني البشر ووضعوا ابنهم مكانه، فيقومون بوضعه في المقابر ليلاً ويبيت فيها وحيداً إلي الصبح، فإما أن يأتي الجن ويأخذونه ويعيدونه للآدميين ابنهم، وإما أن يذهب ابن الجنيه لحاله. وفي الحالتين، يرتاحون من شره[٢٢].

واعتقد بعض الأهالي بأنّ الحمّى تأتي بسبب دخول الجسم بعض الأرواح أو الشياطين. وللتخلّص منهم كان المرضى يبخرون بقطعة جلد الحرباء، جلد قنفذ، أوراق شاي، ملح، وجذر دعي ' أرج الله'، وبما أن المرض كان من وجهة نظر الأهالي بسبب الجن والشياطين، فقد كان الاهالي يكثرون من تعليق الآيات القرآنية علي حوائط منازلهم، لطرد الأرواح والشياطين(٢٣).

وكان من خرافات أهل دارفور أنهم اعتقدوا إن مرض الجدري حيوان لا يشاهد إلا أثره يعلق بالإنسان فيقتله، وسمع التونسي من كثير منهم أنه رأي أثره، وكانوا يتواطئون علي ذلك ويصدق بعضهم بعضاً. وكتب التونسي " سألتهم عن أثره كيف هو ؟ فقالوا: أثره نكت مستديرو متوالية. علي سطر واحد. فكل بيت أصبحنا ورأينا ذلك الأثر دخل فيه، نجد أهله قد أصيبوا بالمرض"(٢٤).

علي كل حال، فإن كل شئ لا يمكن فهمه أو السيطرة عليه كان يربط بالسحر. فعلي سبيل المثال، كانت أعداد كبيره من النمور تخترق محطة بوفي Bufi التي كانت تتبع الإدارة المصرية في المديرية الإستوائية بالرغم من كلّ الإجراءات الوقائية، وكان هناك ضحايا بشكل يومي؛ حيث كانت الخنادق عديمة الفائدة، ولم يمنعهم إطلاق نار من الإختراق. هذا الأمر جعل قائد المحطة يعتقد أن هذا الأمر سحر، وقال للرحالة جوتانوا Gaetano " إن الأهالي المحليين أذكياء جدا في السحر، ولابدّ وأنهم أرسلو النمور، وربما حوّلوا أنفسهم إلى هذه الحيوانات لكي يسكبوا الدمّ بأسنانهم الخاصة. لذلك دعوت سوية رؤساء العلياب Eliab، الذين يستقرّون في الحيّ، وطلبت منهم وقف العين الشرّيرة (السحر)، وأنا أمتلك عدّة سلطات سحرية. ولست خائفاً من دخول الغابة وحدي وأن أنظر في النهر؛ فلا الأسد ولا التمساح له قوّة لإيذائي، بسبب هذه القطعة الصغيرة من الخشب التي ربطت في ذراعي اليمنى والتي تحميني من هجوم التماسيح. وكذا التي ربطت في الذراع اليسرى والتي تحميني من الأسود وتلك الحيونات المؤذية(٢٥).

وكانت الممارسات الطبية جزءًا لا يتجزء من ثقافة الامة السودانية وارثها المادي والروحي. والممارس مهما كانت رتبته أو مكانته الاجتماعية مقود في ممارساته بالنظريات والمفاهيم السائدة في مجتمعه عن الطب والمرض والعلاج.

ثانياً- السحرة المعالجون:

كان السحرة جزءاً مهماً في المجتمع السوداني، وقد أعتمدوا في ممارستهم علي الخبرات التي تراكمت علي مدار أجيال متعاقبة، بجانب السرية والغموض، والمكانة القدسية التي حاولوا أن يضعوا أنفسهم فيها، ولم يكن هناك اختلاف كبير بين السحرة العرب والوثنيين(٢٦).

١. المعالجون العرب.

في شمال السودان، كانوا يعرفون برجال الدين أو الفقراء وقد يسمونهم الفقهاء، ومعظم الأسر المحترمة كان لها ولد أو قريب ينقطع في شبابه لدراسة الفقه والشريعه ليصير فقيهاً. فكان الطالب يرسل وهو في الثانية عشرة أو الرابعة عشرة إلي مدرسة من المدارس المجاورة، وكان أشهرها في شمال السودان في الربع الأول من القرن التاسع عشر في الدامر علي الطريق إلي شندي، وفي مقرات وعند الشايقية، وتعلم الطلاب في هذه المدارس القراءة والكتابة، وكانوا يحفظون عن ظهر قلب ما وسعهم حفظة من القرآن والكتب الدينية، وخلال الدراسة كانوا يتلقون أسرار كتابة الأحراز والتمائم، ثم يعودون إلي وطنهم في العشرين من عمرهم(٢٧).

وقال بوركهاردت عنهم: "يكتبون التمائم علي قطع من الورق، فإذا ابتلع المحب الذي يشكو صد حبيبه ورقة منها رق له قلب الحبيب". ومن الفقرا من تخصص لكتابة أحجبة الحب أو التمائم المضادة للحمي، وقد حصل الرحالة بوركهاردت علي حجابين أحدهما من بربر والثاني من الدامر. وزعم له رجل دين ويدعي منصور وهو الذي باع له الحجاب الأول أنه إذا كتب اسم العاشق علي الحجاب الأول لن تقوي امرأة علي مقاومة فعله، أما الحجاب الثاني فكان

يقي صاحبه من الإصابة بأي جرح[٢٨].

وعلي سبيل المثال، كانت قرية طبية– تقع في اتجاه الغرب من مدني، في منتصف الطريق ببينها وبين المسلمية وهي من القري الكبيرة – جميع سكانها من الفقرا. لأنهم في واقع الأمر من أتباع زعيمهم الفكي المعروف بأسلافه بأنه ولي من أولياء الله الصالحين، واعتقد مريدو هذا الشيخ أنه يزور مكة كل يوم لأداء فريضة الصلاة. وفي الليل، عندما كان الشيخ يخرج من منزله، يتجمهر الناس حوله، ويتزاحمون لتقبيل يديه، ومن يظفر منهم بهذا الشرف، يري نفسه قد تطهر من جميع الأدران والذنوب. وكانوا يقولون أيضاً إن لحية والد الشيخ، مع أنه قد توفي منذ سنين عدة، قد نمت في قبره، وأن شعيرات منها يمكن رؤيتها خارج القبر. وعند مرور محمد علي باشا بود مدني في ديسمبر ١٨٣٨ في طريقه لزيارة مناجم الذهب في فازوغلي التقي به الفكي واستصدر منه أمراً بإعفائه هو وجميع سكان القرية من ضرائب الأطيان وغيرها. وكان الفكي يتكفل بإعانة وإيواء كثير من الأسر الفقيرة في القرية[٢٩].

ومن خلال قلم مكوّن من قصب كان المعالج يتقدم لكتابة وصفة طبية ؛ وهي عبارة عن آية أو آيات من القرآن التي يعتبرها تنطبق على الداء أو الشكوي؛ ويقول الرحالة بيكر أن الميزة الوحيدة التي يمتلكها هذا النظام العلاجي هي "البراءة الكاملة"، والتي ربما ينسب لها التفوق في العلاج. فهي في نظرهم جرعة مقدسة، حيث يعود المريض بثقة غير منتهية. وقام هؤلاء المعالجون بعمل كمية كبيرة من هذه الممارسة البسيطة، وكانوا يضيفون إلى أرباحهم الصغيرة عن طريق بيع آيات من القرآن كتعويذات[٣٠].

وكانت تتضاعف الأمراض ويزداد انتشارها خلال الفصل الممطر. وفي هذه الحالة وقبل أن يهرول الآباء لإغاثة أطفالهم من المرض، أو أن يعالج الأطفال آباءهم، يستشيرون رجال الدين Fakeers وكتّاب التعاويذ. ويصفهم الرحالة بالم Pallme في مؤلفه بأنهم " متعصّبون وقارئو بخت، وما شابه، وقد ثبت أن نصيحتهم عديمة الفائدة"[٣١].

وكان يوجد في دارفور فقير أو اثنان في كل قرية، وغالباً ما كان للساحر أو الفقير عدّة إخوة يزاولون في الأجزاء المختلفة الأخري، وكان الساحر يتعلم السحر من أبيه[٣٢]. وكان منهم من يدعي القدرة علي التنويم المغناطيسي، أو القدرة علي جعل المريض يدخل في غيبوبة أو نوم وكشف ما به من أسرار[٣٣].

وقد مارس السحرة أو المعالجون الزار والمندل والرمل وضرب الودع والعقدة وتفسير الأحلام. وقد دخل الزار السودان من مصر وكثر استعماله في سواكن وبربر والخرطوم. وكان هناك نوعان من الزار : الأول ويعرف باسم (زار بوري)، والآخر ويعرف باسم (الطمبورا)، أما الأول فخاص بالنساء ويجري في منزل الشيخة أو في منزل المريض الممسوس، والأخر خاص بالرجال، وقد كان لا يمكن للطمبورا أن تنتقل إلي منزل المريض ولكن المريض هو الذي يأتي إلي المنزل. وحفلات الزار كانت عادة صاخبة وتصاحبها حركات هذيان وعبارات مبهمة. وكان أكثر المشتغلين بضرب الودع والرمل والمندل وكشف الدفائن وعلم التنجيم من التكارنة، وأما العقدة فكان يشتغل بها فرع من بشاري العطبرة، وأما السحرة السودانيون فيدعون القدرة علي مسخ الأجسام إلي حيوان أو غير ذلك[٣٤].

ومن بين الأمور التي كانوا يعالجون بها المرضي كتابة بعض سور وآيات القرآن الكريم علي لوح، ثم يغسلون الكتابة بماء ويسقون الماء للمريض للأستسقاء. وإذا حدث نوع من الوباء والأمراض يقومون بنحر الذبائح وتوزيعها علي الفقراء والمساكين حتي يرفع الله عنهم هذه الأوبئة والأمراض. ومن آيات القرآن الكريم يتخذون علاجاً، وهذه الآيات ربما تأخذ شكل الكتابة في أوراق صغيرة في شكل أحجبة، أو تكتب علي ألواح ثم تغسل[٣٥].

وكان هناك في دارفور معلمون نباتيون، لهم تلامذة عديدة أكثر أوقاتهم مسافرون، يصعدون أعالي الجبال، وكانوا يتخللون بطون الأودية، يحفرون علي النبات ويعلمون تلامذتهم، وكان هؤلاء يعرفون بالمعراقيين. وكان كل واحدا منهم يحمل مجموعة من الحقائب مصنوعة من جلود القطط البرّية،

وقطط أليفة، وعدّة أنواع من القرود، بجانب قرون عديدة من الأحجام والأشكال المختلفة، والأنواع المختلفة من المساحيق النباتية، إضافة إلى أفرع الجذور والأبصال المختلفة، وفاصولياء علي كلّ حجم ولون(٣٦).

كان أحد هذه الجذور يدعي " عرق الحجر "ويدعي السحرة أنه إذا أعطى إلى الخيول من خلال أن يقعد الخيل فوق بذرتهم يعالجهم من الديدان، وجذر آخر إذا قعد عليه يطرد الديدان من البشر. واحتوي كلّ من قطع العظم الذي يشكّل عقدة أو سبحة علي المسحوق النباتي، وكان لكل جذر وظائف مختلفة، وكانت أيضاً تمنع من أن تؤثّر عليها بسحر السحرة الآخرين أو أن يؤذى من قبل نية سيئة. واحد منه هذه العقد كانت مهمتها أن تمنع سقوط المطر متى كان حاملها يسافر، وكانت مهمة جذر آخر أن يمنع الجذور المسؤولة عن قتل أطفاله من الغضب، كما أن أحد الجذور إذ وضع فوق أرض وأكله الدجاج فإن ذلك يمنع مرض الزهري(٣٧).

وقد عزز انتشار المشعوذين في الجانب العربي من السودان، أن قلة فقط من الناس كان يمكنهم القراءة أو الكتابة. وكذا، كان هناك جو من السر في فن الكتابة الذي كان يعزز كثيرا من قيمة قصاصة من الورق عليها آية من القرآن. وكانت تنفق بعض القروش طواعية في شراء مثل هذه التعويذات، والتي كانت تحفظ بعناية في مظاريف صغيرة من الجلد، ويتم ارتداؤها من قبل جميع الناس، وكان يتم تسليمها من الاب الى الابن(٣٨).

٢. المعالجون الوثنيون.

ربما لو عرفنا طبيعة الأهالي في المناطق الجنوبية في السودان في ذلك الوقت لعرفنا نوعية المعالجين وطرقهم في العلاج التي كانت مرتبطه بحياتهم، فهم مجتمعات بدائية يعيشون وسط وبجوار الغابات القديمة؛ وكتلة النباتات المتشابكة؛ والمياه الغزيرة وغير المراقبة؛ والتربة الوعرة، والوحوش البرّية الخطرة؛ وتعاقب موحّد للظواهر الطبيعية. وأخيرا، فالرجل منهم رغم كل تلك الثروات، يمتلك فقط غرائز، وفي نزاع مستمر، وهو صيّاد ومحارب،

وطائش، يكره زراعة التربة. وفي المجمل، تحتوي قصّة حياته فقط علي نزاع ودمار متبادل؛ تزيد الحروب أسباب الكراهية بين القبائل. وذلك النزاع، الذي كان في أوله فقط عداء تقليديًا، يصبح عنيفًا دائماً ومتصلّباً[٣٩].

وفي ظل هذه البيئة الاجتماعية، كان السحرة عنصراً مهماً، وكانوا يميزون أنفسهم عن غيرهم من أفراد القبيلة. علي سبيل المثال، في الأنيروا، كانوا في تنكّر فضولي باللحى التي صَنعتْ بعدد من ذيول الأبقار الكثيفة[٤٠]. وكان الكاهن الأكبر يغطي رأسه بعمامة من القماش الأحمر، مزيّنة بالخرز والقذائف، وأبرز كل جانب في جبهته بقرن الثور، معلّق فيه التعويذات الخشبية. وحمل قرّن كبير في يدّه اليسرى، ملئت بالبودرة السحرية، وكان يرتدي عباءة من جلد الثور شبكت على كتفه الأيسر، وكان دائماً يجلس علي مقعد صغير، مع طلعة حادّة[٤١].

وعادة ما كان المعالج يتلى بأحد أبنائه، الذي يتلقي قوة معيّنة من قبل الأبّ، وعادة ما كان إمّا الابن الأكبر سنا أو الأصغر، مع ذلك لربّما أيضا إمتلكت بنت من القوّة لتعمل بالسحر. وقد تنزل القوّة الغامضة أيضا على أحفاد ابن أو بنت معالج، التي لم ترث تلك القوّة، والحقيقة بأنّ قوّة السحر العامل كانت تجيء إلى الشخص الذي كان له سلف يتمتع بتلك القوة، ولربما ما كان أبوه معالجًا بالطب. ولم يكن المشعوذ الطبي يعالج نفسه عندما يمرض، ولا يعالج حتي أفراد عائلته الخاصة. بل كان يذهب إلى مشعوذ طبي آخر لكي يساعده[٤٢].

لقد كان الطبيب الساحر يجاهد لأن يكون مدهشاً في عمله، وفي أغلب الأحيان كان يحاول تصوّر مصير ضحاياه. على سبيل المثال،عندما كان يطلب منه قتل رجل، في تلك الحالة، ربما يطلب خروفاً، ويشقّ رأسه بفأس، ويعلن بأنّ في نفس إسلوب قوّته كسرت رأس الرجل من خلال سحره. علي كل حال، كانوا يحاولون إثارة إعجاب الناس مع إحساس الغامضين، وكثيرا جدا من السحرة كان لديهم خيوط إمتدّت في بيوتهم لإثارة إعجاب الأهالي الذين يريدون خدماتهم[٤٣].

وكان أهالي القبائل المحلية في جنوب السودان خاصة ينظرون إلي السحرة أو أدعياء المعرفة العلاجية والطبية كرجال جيدين، ليس لأن حياتهم جيدة، ولا لأن ممارستهم الطبية جيدة، لكن لأنهم كانوا منظورين على أنهم قنوات إتصال بالسلطات الغامضة أو الألهة. وأيضاً كان يمكنهم الذهاب إليهم للمساعدة في قضاء حاجتهم. بالرغم من ذلك فإن المريض الذي لم يجلب أي أجر للمعالجة، لم يعالج(٤٤).

ولم يتفق الأهالي في تلك المناطق البعيدة عن الحضارة بالنسبة إلى مصدر قوّة المعالج. حيث اعتقد البعض بأنّ القوّة تأتي من الله، بينما أعتقد آخرون بأنّه تراث من أسلاف الرجل. لكن علي كل حال، لم يكن الإختلاف عظيماً، سواء بين أولئك، الذين إعتبروا القوّة تنبع من الأسلاف، أو الذين أعتقدوا أن قوّتهم تنبع من الله(٤٥).

وبالرغم من القدسية التي حاول المعالجون ان يضعوا أنفسهم فيها إلا أن عيوبهم الطبيعية كانت تقلل من قدسيتهم، فالعديد من المعالجين كان طفلهم عادة ' ضعيفاً، والعديد منهم كانوا مشوّهين. واعتبر الأهالي بأنّ هذا سببه ظلال ضحاياهم التي تجلب لعنة على المعالج، وأيضا على عائلته(٤٦).

ثالثاً- الأدوات السحرية:

بالرغم من التنوع العرقي والديني والثقافي في السودان خلال عهد الإدارة المصرية، إلا أن الأدوات السحرية التي أستخدمها السحرة في أنحاء السودان كانت متشابهة إلي حد كبير.

١. الأدوات السحرية في السودان المسلم

كان الأهالي في السودان المسلم يعيشون في طبيعة بيئية قاسية، ترعرع السحر خلالها، حيث كانوا يخشون الأمراض التي كانت تفتك بهم أو المخاطر الطبيعية أو الجفاف الذي كان يدمر محاصيلهم،أو لتحقيق أمنية ذاتية فشلت الوسائل الطبيعية في تحقيقها، فحين يفشل العلاج بالوسائل الأخري كان السحر

هو الملاذ الذي كان يلجأ له الكثير من الأهالي في ذلك الوقت للعلاج، حتي وأن كان الإدراك الداخلي غير مقتنع بما يقوم بها الساحر أو يفعله أو نتيجته، ولكن التمسك بالعلاج كان يدفعهم للسير في أي خيط يذهب بهم إلي الشفاء أو تجنب مواجهة المخاطر.

وكانوا يذهبون للفقرا الذين يستطيعون أن يصفوا لهم بعض الأعشاب أو يكتبوا لهم الرقي والمحايات لاطلاعهم علي كتب الطب النبوي. وغالباً ما يكون الدواء من عسل النحل والتوابل والأعشاب وجذور بعض الاشجار أو الكي أو العزيمة أو البخرات والمحابة. ويكثر ذكر الفقرا في إشعارهم كقولهم :

جاني الفقير قال لي ات وتب

جاب درايته وفي اللوح كتب

قتله أقيف يا شيخ العرب[٤٧]

علي أية حال، كانت الأحجبة هي الوسائل الفعالة لطرد المرض خصوصا لدي النساء، وقد ذكر الرحالة جوزيف أن نساء السودانيين يزيّن أنفسهن وأن حليهن يشمل العديد من قطع الورق الصغيرة جدا، مكتوب فيها سورة الفاتحة، والصلاة علي النبي محمد(ص)، وآيات أخري من القرآن،علقت في رقبتهم، حيث اعتقدن أن هذه التمائم فعالة في تحرير الأشخاص من كلّ مرض يلبسهم، أو آي حادث سيئ، أو روح شرّيرة. وبالنسبة لهن، هي وسائل مؤكدة وفعالة ضد كل سوء حظ[٤٨].

وكانوا يصنعون الأحجبة والأحزمة من جلود الثعابيين السامة وغير السامة، وكانت أشهرها الأصلة: وهي من الثعابين غير السامة، وهي كبيرة الحجم تبلغ من الطول أحياناً أربعة أمتار، وكانت تقطن الغابات فتسكن تجاويف الاشجار وتعيش علي الحيوانات، ويصطادها السودانيون. وفي خرافتهم، أن الحامل إذا تمنطقت بحزام مصنوع من جلد الأصلة أمنت كل ضرر وأن الحجاب الملفوف بجلد الأصلة يقي حامله فعل الرصاص

والعين[٤٩]. ويقول نعوم شقير " ولعرب السودان عادات وتقاليد يولونها اهتماماً شديداً مثل " التعزيم" وكتابة الأحجبة وقلما تجد واحدًا منهما ولاسيما النساء إلا ويحمل حجاباً"[٥٠].

وبجانب الأحجبة كانوا يستخدمون الجذور أيضاً في السحر. علي سبيل المثال، كان للمساليت في دارفور شنان ومعاندة مع بعضهم، وكان كل منهم يريد أن يرتفع صيته، وجميع الجذور التي يأخذونها كانوا يضعونها في قرون الغنم، وفي قرون البقر، وكانت الجذور تسمي نارة، ومن أشهر الناس بها كان رجل يسمي : بكرلو كو، وكان مقره بجدية السيل، ومنها ما كان يستعمل للمضرة وهو علي أنواع: نوع يستعمل لقتل العدو، وكيفية ذلك أن يؤخذ الجذر الذي فيه خاصية القتل، ويغرز في ظل رأس المراد قتله، ففي الحال يتأثر ويلتهب المخ وفق مخيلتهم، ويبقي الشخص لا يعي شيئاً، فإن لم يتدارك سريعاً بضد ما فعل له مات. وإذا أريد إبطال عضو منه، يغرز الجذر في ظل العضو المراد إبطاله كاليد أو الرجل، ففي الحال يتألم العضو ويلتهب وينتفخ، وربما حدثت فيه غدة كغدة الطاعون. وإن لم يتدارك سريعاً ينفتح وينتهي بفقد إحساس العصب وفقدان الوظائف كلها وفق مخيلتهم. وإذا أريد أن يصاب بالدوار وبالقئ، كان هناك جذور توضع علي الجمر، ويتلقي دخانها ولو في كم الثوب، ويطبق عليه طبقاً جيداً، ويتوجه للشخص المقصود، فيفتح كم الثوب ونحوه بقرب أنفه، فتسطع رائحة دخان الجذر في أنفه، فيقع في الحال حتي تبقي رجلاه أعلي من رأسه، فإن لم يتدارك في الحال بقي كذلك أياماً. ومن جذور خاصيتها جلب النوم، وهذه الجذور يستعملها السارقون وكان يجعلها في قرون، فيدخل السارق بالليل علي المحل وأهله مستيقظون، فيشير إليهم بالقرن الذي فيه الجذر ثلاث مرات، فيسرفون في النوم، فيدخل السارق ويأخذ ما يريد أخذه[٥١].

٢. الأدوات السحرية في السودان الوثني

في جنوب السودان كانت الظروف الحياتية شديدة الصعوبة، من حيث

المناخ، نباتات كثيفة أو جدباء، صيد الحيوانات الضخمة مثل الأفيال، والدفاع عن النفس في مواجهة الحيونات الكاسرة المنافسة التي تأكل الحيوانات آكلة العشب، تلك التي يقتات بها الإنسان، الحروب الداخلية بحثاً عن أرض مضيافة وفيرة الصيد، وكذلك الظروف المحيطة حيث تتعدد الحوادث(٥٢). وفي تلك البيئة عاشت البكتيريا والطفيليات معه، معرضة السكان إلي جيش هائل من أمراض لم يكن يستطيع لها دفعا.

هذه الظروف ولدت إعتقاداً عظيماً في السحر الذي يتم تصنيعه من قبل رجال الطب. هذه السحر عبارة عن قطع على شكل غريب من الخشب، وقرون وجذور وما شابه ذلك، ويفترض أنها كانت مخصصة لدرء المرض و لحماية مرتديها من لدغات الثعابين السامة، والتي هي شائعة جدا في جنوب السودان، ومخيفه جداً للسكان. هؤلاء كانوا هم رجال الطب، وكان لهم تأثير هائل على الناس، وكان يتم استشارتهم في جميع أنواع الموضوعات. وكانوا يدعون أنهم قادرون على التنبؤ بالأحداث، واستعادة الممتلكات المفقودة أو المسروقة، والتحكم في المطر والرياح. وكانوا أيضاً يمارسون عملهم كأطباء بشكل عادي، وذلك باستخدام الأعشاب والجذور واللحاء من الأشجار المختلفة. ويصف الرحالة ولسن Wilson عملهم، فكتب" كانوا ناجحين في طبهم في بعض الأحيان. ولديهم اثنان أو ثلاثة من العلاجات لمرض الملاريا(٥٣). وفي اليوغندا علي سبيل المثال، أستخدموا الجماجم البشرية كتعاويذ. بل إنهم كانوا يرمون قطعًا من الجماجم في الحقول، لزيادة خصوبة التربة! (٥٤).

وقد لعب الوثن أو الجذر جزءًا كبيراً جداً في عمل المشعوذ الطبي. حيث كان الساحر يعطي الجذر الصغير للعديد من الأغراض المختلفة. فالجذر مفترض لإعطاء الحماية على رحلة، ولتأمين النجاح في المطاردة، وللحماية من الحيوانات البريّة، ولتأمين حكم مناسب، ولحماية الماشية خلال عبور النهر، والعديد من السلطات الأخرى كانت تنسب إليه. على أية حال، كان الجذر فعّال فقط للغرض الواحد الذي حصل عليه من أجله(٥٥).

وقد كان إحساس الدين مجهولاً كلياً لدي بعض قبائل أعالي النيل.علي سبيل المثال في لغة البونقو، لم يكن يوجد آي شيء في لغتهم ليبيين أيّ إله روحي، سوي بعض الأرواح، أبرزهم لوما loma، حيث كانوا يتضرعون إليه للشكوي من مضطهديهم، وإذا مرض شخص، كان مرضه ينسب إلى " لوما ". وكان لدي قبائل البونقو خوف وإيمان شديد بالأشباح، وكانوا يعتقدون أن مسكنهم يكمن في الظلام الغامض في الغابة. وكانت الأرواح، والشياطين، والساحرات عندهنّ كنيتهم العامّة بيتابوه bitaboh.ولتجنّب غضب هذه الأرواح، كان أهالي البونقو يستخدمون الجذور السحرية التي كان السحرة المحترفون يتاجرون فيها، على نحو مماثل للسحرة في السودان المسلم، الذين كانوا يتاجرون في التمائم والأحجبة. وكانوا يعتقدون بأنه ليس هناك مصدر للإتصال بالأرواح، سوي بواسطة بعض الجذور. وعلي أية حال، كانوا يستخدمون هذه الجذور للدعاء لشفاء المريض، أو من أجل إستخدام سلطات الشرّ لإيقاع الجرح على الآخرين. وهذا السحر كان ينسب كثيراً إلي الرؤساء المحليين، وبشكل عام كانوا هم القاعدة المصدّقة، وكانوا يمارسون على كتلة الناس كل في مناطقهم. وقد كانوا يعتقدون أن معظم كبار السنّ من الجنسين، خصوصا النساء العجائز، يدخلون في تحالف مع الأرواح الشرّيرة، بغرض إحداث ضرر وجرح للآخرين. حيث أنهم يتجوّلون في الغابة في الليل، ويحصلون علي الجذور الصحيحة، ثم يعودون بشكل هادئ إلي أكواخهم(٥٦). وحينما يحدث لأي شخص موت مفاجئ ينسب بديهياً إلي المسنات العجائز. وهذا الأعتقاد لم يكن مقتصراً علي القبائل البدائية في الجنوب السوداني ولكنه كان سائداً أيضاً في الشمال؛ حيث إن العديد من الناس كانوا يعتقدون وبشدّة علي أن الساحرات العجائز قادرات على الخروج في الليل، والدخول في أجسام الوحوش المقيتة من الضباع، بدون أن يدرك آي شخص للذي حدث، ويروي الدكتور شوينفورث أن إدريس حاكم زريبة غطاس في إقليم البونقو، افتخر في حضوره بنزاعاته مع الساحرات، وكيف أنه قضي في مرة واحدة علي نصف دسته منهم(٥٧).

علي أية حال، كانت تستخدم التعويذات في الجنوب علي نطاق واسع. علي سبيل المثال، كانت قبائل الأنيروا Wanyoro لديها إعتقاد راسخ في العين الشرّيرة. وكانت التعاويذ تلبس على نطاق واسع لتجنّب المرض، والجروح، والموت. هذه التعاويذ كانت عادةً جذور أشجار ونباتات مختلفة. وكان العرافون والنساء يسافرون في أغلب الأحيان حول البلاد، ولم يكن لهم مسكن ثابت. وكانوا يزاولون التعزيم لإبعاد الأرواح الشرّيرة التي يفترض بأنها سكنت المريض، وكانوا يستعملون العديد من الأعشاب كأدوية، بجانب السحر(٥٨). وكان جذر التعويذة يعلق في الذراع عادةً(٥٩).

رابعاً- السحر والعلاج :

كان السحر في السودان في عهد الإدارة المصرية عبارة عن سحر استباقي لمنع وقوع المرض أو الخطر، وسحر علاجي في حالة وقوع المرض، وقد تعددت صوره وأشكاله وفقاً للخلفية الثقافية والدينية وأن جمع بينهم جميعاً الخرافة.

١. السحر الإستباقي لمنع المرض.

سعي الإنسان الجنوبي خاصةً إلي استمالة الكثير من الجن والآلهة من أجل حمايته. فالعقائد، في جنوب السودان رغم تنوعها إلا أنها كانت جميعاً تقوم علي وسطاء يقربون بين البشر الجهلاء والمعذبين، والقوي العليا للسماء، هذا الوسيط يمتلك المعرفة كهبة ويتمتع بسلطة علي العشيرة أوالقبيلة، بالوراثة أحياناً. ويلعب دور الكاهن والطبيب معاً.

تلك الأرواح التي تحبل النساء وتخصب الحقول او تفشي الأمراض والكوارث، هي الوحيدة القادره بمعرفتها، علي التشفع لدي الآلهة لكي تعود رحيمة بالإنسان، وكذلك حيازة غفرانها في حال الخطيئة، وأيضاً بالتعازيم وبالرقصات والقرابين التي تؤلف مجموعة من الطقوس والصلوات للقوي العليا تؤدي عند تقديم الدواء أو التعويذة للمريض(٦٠).

لذا، كان الطبّ يكمن في الغالب في أيدي السحرة kujurs، الذين وضعوا أنفسهم وأيضا وضعهم الأهالي في منزلة بجانب الله؛ وكان الطب في ذلك الجزء من السودان مستنداً فقط على الخرافات حول الجذور والأشياء الشاذة الأخرى. فإذا نوي رجل أن يسافر في رحلة كان يذهب إلي المعالج ليفحصه ولإعطائه أمان من الأخطار المرئية وغير المرئية. علي سبيل المثال، عندما كان ينوي أحد أهالي الأنيروا السفر، فإنه كان يستشير الساحر مقابل أن يعطيه هدية. وكان القرار يعطي من أحشاء ديك أحمر أو أسود، حيث تحزّ معدته وتفتح وهو حي. وإذا كان القرار غير مناسب، توضع الرحلة جانباً. وبعد ذلك، يرمي الديك إلى العشب العالي(٦١).

أيضاً، عندما أراد بيكر أن يسافر جنوباً من لاتوكا Latooka، إلى فارجوك Farajoke قام الساحر كاتشيبا Katchiba بالجدية العظيمة وكسر فرعاً من شجرة، و بصق منها على الأوراق في عدّة أماكن. هذا الفرع، بورك هكذا بالماء المقدّس، ووضع على الأرض، وقام ببعض المراسم الأخري، ثم سلّم الفرع إلى أخّيه (الدليل)، الذي استقبله بالجاذبية الكبيرة. بالأضافة إلى ذلك، قام الساحر بالسحر عن طريق صافرة قرن الظبي التي علّقت حول رقبته، لمنع سقوط المطر أثناء القيام بالرحلة(٦٢).

وقد لبس كلّ المواطنين الصافرات بشكل مماثل في الظهور، وكانت عبارة عن قرون صغيرة نفخوا من خلالها الصوت الذي منه اعتبر إمّا للجذب أو لإبعاد المطر، حسب اختيار الصافرة. وكان يفترض أن الصافرة لا تكون فعّالة مالم تكن بوركت من قبل الساحر العظيم كاتشيبا Katchiba. (٦٣)

كان الملك كمارسي Kamrasi محاطا بالسحرة، من الرجال والنساء ؛ وكان هؤلاء الناس مميزين عن الآخرين؛ حيث كان السحرة يرتدون مختلف الجذور الجافة على الرأس ؛ وكان البعض منهم عبارة عن سَحالٍ وأسنان التماسيح، مخالب الأسود، قذائف السلحفاة الدقيقة. ومع مثل هؤلاء الساحرات والسحرة كان كمارسي وشعبه آمناً ضمنيا. وكان أهالي الشخص المصاب أو

المريض يستعينون بالسحرة لمعرفة أن الشخص سيموت أو سيتعافي. وكانت المراسم أن يقوم الساحر بقتل طير لإستجوابه. بعد الرد، لم يكن المواطنون عندهم شكّ في النتيجة[٦٤]. هؤلاء الناس، لم يكن لديهم فكرة الخالق الأعظم، ولا أي هيكل للعبادة، إيمانهم إستند فقط إلى إعتقاد بسيط في السحر كمواطني مادي Madi وأبو Obbo، وجميع مواطني القبائل البدائية[٦٥]

وقبل القيام بمطاردة، كان علي الساحر أن يطمئنهم علي النجاح في المطاردة، وفي تعقيب الحيوانات الخطرة. وكان اللصّ الذي ينوي السرقة يذهب ببقرة – في أغلب الأحيان– إلي مدعي الطب، وكان لها سحر معمول فوقها لكي لا يثار أهل القرية بأيّ صوت عند القيام بالسرقة. كما يمنح مدعي الطب النصر عندما يخرج الأهالي إلى الحرب. ويكتشف الرجال أيضا، التي سوف تقتل، وكان يعمل سحراً فوقهم، لكي يتفادى الموت الوشيك. وكذا، كان يتمتع بالقدرة علي القتل بالسحر، والعديد من الأشياء الأخرى التي تعمل بواسطتهم. كما أن سحرهم يجلب أيضاً الأمراض، والقوّة لمعالجة لدغات الأفعى، ولشفاء حرق بالبصق عليه، وذلك من خلال جذر، يحمي مالكه. وفي فويرا، نصبت علي واجهات البيوت قرون الحيوانات في أغلب الأحيان، كنوع من حماية سحرية من الشرّ[٦٦].

ولم يكن السحر الأستباقي مقتصراً فقط عند القبائل الوثنية، ولكنه كان منتشراً أيضاً عند المسلمين في السودان. علي سبيل المثال، بوركت السيوف من قبل الفقرا حيث عزّ ذلك من قبل مالكيهم بإعطائهم القوّى السحرية، ويقول سبولدينج Spaulding واصفاً السيف المبارك، "لا سلاح آخر تمتّع بمثل هذا الولاء العاطفي بعد ذلك "[٦٧].

٢. صور من العلاج بالسحر.

انتشرت صور العلاج بالسحر في المجتمع السوداني المسلم. علي سبيل المثال، عندما كانت تصيب الطفل الحمّى مصحوبة بتشنّجات والتي كانت تسمي " هبابة الزخار" فطن الأباء أن طفلهم تعرض للسحر، وكان

العلاج الوحيد في نظر الأباء هو الذهاب إلي الفقرا لمعالجتهم، وكان المعالج يضع شريطاً أسوداً مسحوباً على جبهة الطفل وبعد ذلك يقرأ على الطفل من خلال تعزيم خاص. وأيضاً، لجأ بعض الأهالي في الشمال عند معاناة أبنائهم من السعال الديكي بوضع حديد حار أحمر على كعوبهم، حيث اعتقدوا بأنّ جذر السعال يتموضع في الكعب. أيضاً كانوا يعطون الطفل الذي يعاني صيحة سعال ديكي لبن الأتان(أنثي الحمار) كطبّ باطني. وأحياناً الجرذان المغلية كبديل(٦٨).

مثال آخر، يقول بروس " ويمارس الشلك والنوبة والعرب نوعا من التطعيم يسمونه "تشتري الجدري؟ tishteree el jederee" تقوم فيه نساء من كل قبيلة بربط خِرقة حول عضد المجدور (المصاب بالجدري)، ثم يجلسن على الأرض ويبدأن المساومة بأصوات عالية حول ثمن تلك الخِرقة، التي تعد تعويذة فعالة. ثم تشتري إحداهن تلك الخِرقة المعدية لتقوم بربطها على ذراع شخص سليم، ليصاب بالمرض بصورة مخففة نسبيا"(٦٩).

وقد تجاسر الفقرا لمعالجة حالات الجنون، وإختلف العلاج قليلاً، وتألف من سجن أولئك الغاضبين والخطرين، وضربهم بالعصي التي نقش عليها النصوص القرآنية، أو الضرب والقراءة في نفس الوقت، خاصة عندما تأتيهم نوباتهم. وكان العلاج الأشهر علي النحو التالي: يتم كتابة مقاطع قصيرة من القرآن الكريم على طبق نظيف ؛ ثم يتم غسل هذه الكتابة بالماء الذي يعطى للمجنون للشرب، ثم توضع تميمة عليه(٧٠).

وقد تخصص الفقرا أيضاً في علاج حالات الصرع عن طريق التمائم، أو التعويذات، أو تبخير المريض بقصاصات صغيرة تحمل آيات قرآنية. وإذا فشلت هذه الطرق يعطون للمريض دواء داخليًا عبارة عن مسحوق من سكر الشعير والسكر الأبيض ثلاث مرات يوميًا حتى يحدث تحسن(٧١).

صورة أخري، يقول سلاتين باشا :" ضربان رأسي منعاني من النوم وفي الصباح شعرت أني مريض، ولما جاءني أحمد ورأي ما أنا فيه قال لي "

يمكننا معالجة هذا بأيسر سبيل. عندي رجل يقف ضربان الرأس في الحال، وهو أفضل من الدكتور الذي في داره. والحقيقة أنه ليس في داره دكتور وإنما هو صيدلي يقال له دكتور علي سبيل التأدب والتجمل. فقلت له : ولكن كيف يمكنه أن يعالجني ؟. فقال : هذا شئ بسيط. يضع يديه علي رأسك ثم يقول شيئاً فتبرأ بل تعود أحسن مما كنت قبل أن تمرض. فقلت اذن أدعه الآن: وبعد دقائق قليلة أدخل أحمد إلي غرفتي رجلاً طويلاً أسود له لحية بيضاء يسمي عيسي. وقال لي هذا هو الطبيب وضع الطبيب يده علي رأسي وضغط صدغي بإبهامه وسبابته، ثم تمتم جملة كلمات لم أفهمها وبصق في وجهي. فهلبت واقفاً لهذه الفظاعة وضربته ضربة القته علي الأرض وقال الطبيب " وجع الرأس من الشيطان ويلزمني أن أطرده. وفي القرآن آيات تدل علي إمكان طرده بالنفث وبذلك يقف عمله السئ في رأسك "(٧٢).

علي أية حال، في جميع الحالات التي لم يكن لديها علاج معروف عند القبائل المسلمة، كانوا يذهبون للفقرا بهدف المعالجة. علي سبيل المثال، لم يكن يوجد علاج معروف بالنسبة للإجهاض، وكانت تحدث العديد من الوفيات نتيجة للنزيف والعدوى. وكان يُعتقد أن سبب الإجهاض هو سماع المرأة الحامل صرخة البومة ليلا، أو غير ذلك من التخاريف. وكان العلاج المفترض هو الذهاب إلي الفقرا المعالجيين وبدء مرحلة العلاج بالتعاويذ والتمائم والأعشاب المختلفة. وعندما كان الطفل يموت خلال الأسبوع الأول من الولادة، كان يُشتبه في الإصابة بالقرحة. وكان العلاج أن يتم بقطع قطعة صغيرة من أذن الطفل ويتم إعطاؤها في قطعة خبز إلى الأم لتبتلعها. وأيضاً كان يجب على الطفل، إذا كان مريضًا، أن تحمله امرأة عجوز تتوسل في الشوارع باسم الطفل، و تدفع الأموال التي يتم جمعها مقابل القميص الذي يرتديه الطفل. وعندما كانت المرأة تتأخر عن الأنجاب، كان يُطلب منها ارتداء عملة معدنية أجنبية، وأحيانًا مع عظام السمك والقرون(٧٣).

وقد كان يتم استشارة الفقرا، بعد فشل المحاولات العلاجية الأخري

أيضاً، وعادةً ما كانت تصنع بضع شقوق اصطناعية فوق الساق وتزور امرأة أنجبت طفلاً مؤخراً. وكانت تنتشر هذه العادة على نطاق واسع. وعندما تصبح امرأة معقمة بعد حملها لطفل واحد، تعتبر حالتها بسبب الكبسة، مما يعني أنها تمت زيارتها أثناء المخاض من قبل امرأة معقمة ترتدي عملة معدنية أو عظام سمك. لذلك، يجب عليها تبني الإجراء المعتاد للمرأة العقيمة، وإذا فشلت كل هذه الجهود فيجب استشارة الفقرا(٧٤).

وفي حالة تفشي الأمراض الوبائية، كان الأهالي يسلقون الذرة ويوزعونها ويعتقدون أن الوباء يذهب مع البخار الذي يتصاعد منها ولا يسلقونها إلا عند طلوع الشمس وغروبها(٧٥).

ولقد كان العلاج عبارة عن بعض الطقوس السحرية عند القبائل الوثنية والبدائية المتمركزة في الجنوب والجنوب الغربي من السودان، ولم يكن هناك اختلاف عظيم. ولسكان الجنوب من الدينكا والشلك ومن جاورهم عادات غريبة في هذه الناحية فلا يكاد يحدث حادث خارق للعادة أو مخالف للمألوف إلا كان مدعاة لإقامة الشعائر وتقديم القرابين، وكان الإله الأكبر عند الدينكا يدعي (نهاليك)، وهو في نظرهم الذي يرسل السحاب من السماء وهو المهيمن علي كل الأمور العظيمة. كما أن لديهم اعتقاداً في قوة أخري ذات أتصال شديد بالحياة العادية وهذه القوة تدعي (جوك) أو روح الأجداد مجتمعة. وهناك اله آخر يدعي (دنج بيت)، ولكل قبيلة دنكاوية هيكل تقدم فيه القرابين في حفلات الحصاد والمطر وغير ذلك، وغالباً ما يتألف الهيكل من ثلاثة أكواخ متلاصقة أحدهما مقفل علي الدوام ولا يدخله إلا السدنة وهو خاص (بدنج ديت)، وفي حالات ربما يسمح للشخص الذي جاء ليقدم قرباناً – طمعاً في النسل – أن يدخل لينال البركة ويدعو لتحقيق أمنيته وفي هذه الحالة يدخل وعن يمينه ويساره واحد من السدنة. ومن العادات المتبعة أن يمسح جسم صاحب الطلب بمزيج من الزيت والتراب المقدس(٧٦). فمتى كان ساحر يبدأ بممارسة فنّ المعالجة عند قبائل الدينكا والشلوك، كان يبدأ بمراسم تشمل صلاة تكريس مثل:

" أنت الله، القوّة لك. ولكي أنقذ الناس، يساعدني الأبّ، وسلفي، القوّة لك، ساعدني لذا. إنّ الأجر لك، أبّ، هو سيعطي من قبلي إليك، والله "[٧٧].

وكان المعالجون يقدمون القرابين أو بمعني آخر يدفعون أجر يكرّس إلى الله أو إلى مصدر القوّة، كنوع من الدفع للحصول على القوّة، وكان الأجر عادة أنثى، أو طفلًا أو عجلًا، يتم التضحية به من حين لآخر. كما أن الحيوان الذي كرّس يجب أن يكون صغيراً. وأيضاً كان أطفال المعالج فقط الذي يسمح لهم بأن يشربوا من حليب الحيوان المكرّس، و قد لا يباع نسله[٧٨].

وعندما يأخذ الساحر حالة يكون العلاج عمليا أو دائما عبر عروض الصلاة، مثل هذه الصلاة التي قام بها أحد السحرة الشلوك، هكذا: "الله أنت الواحد، الذي تعطيني القوّة. أيّ قوّة عندي قبل ذلك؟ أمدحك، وسلف نيخانج (Nikang)، ودينج Deng، وأبي وأمّي.؟ " [٧٩]

وفي بعض المناطق الأخري كان العلاج يشمل أداء بعض الطقوس المبهمة. علي سبيل المثال، كان المسافر بيكر وزوجته قد أصيبوا بالحمي الصفراوية، وجاء الساحر والمعالج كاتشيبا Katchiba، بعد أن سمع بمرضهم، لإسحارهم ببعض النوبة السحرية. وشرح بيكر طريقة المعالجة، فكتب " احضر الساحر فرع شجرة، وملأ فمّه بالماء، وبصق على الأوراق وحول أرضية الكوخ؛ ثمّ لوّح الفرع حول رأس زوجتي، وأكمل المراسم ؛ وأخبرنا بأننا سوف نتحسّن الآن، وسنكون راضين جدا[٨٠].

صورة أخري، كان شعب مامبيتو Mambettu ينظر إلي السحرة على أنهم كهنة، يستطيعون من خلال تعاويذهم التنبؤ بالمستقبل، وعلاج المرض وكافة المتاعب. وكان الملك نفسه يستشيرهم ويحترم ردودهم. وفي إحدي المرات أصيبت إحدي أتباعه بالمرض وإزدادت حالتها سوءاً، وفشلت معها الأدويه، وكان الحل الطبيعي هو اللجوء إلى رئيس الكهنة. وشهدت حشود من الناس حفل العلاج، وقام بالعلاج اثنان من الساحرات، اللتين رسمتا وجهيهما باللون الأحمر، وكانتا تغطيان الوركين والفخذين بأوراق الموز، وطوّقتا الكواحل

بالأجراس. واقتربت الكاهنة الرئيسية من المريضة ومسّت جسمها، في حين أن الأخرين قاموا بإداء لحن رقصة، ورقصت الساحرة، يرافقها بأغاني صاخبة في بعض الأحيان رسم بسرعة بالقرب من ضحيتهم، والتي شوّفت رعبها بتلوّي وتحرّك ببطء في الأرض. وكان المشهد العلاجي يمتلئ بالضحك، والبكاء، ونطق الكلمات الأحادية المكسورة. هكذا، استمر مشهد السحر لأكثر من ساعتين. أخيرا، تحركت المريضة ومشت. وتم إعطائها مسودة غامضة لمدة ثلاثة أيام متتالية، وكذا بعض الأعشاب المحمصة لاستعادتها إلى الصحة. (٨١)

ومثال آخر، يقول الرحالة جاتنو اعتبر الساحر المسن مبرو Mbruo زيارتنا له فرصة يمكن أن يعرض لنا من خلالها براهين سلطاته الخارقة. وصادف أن نشأت ريح عنيفة عن المنطقة الجنوبية الشرقية، مع انحدار مطر في السيول وسط ومضات البرق وتدوّي الرعد، وقمنا لنبحث عن ملجأ أفضل مما نقعد فيه، لكن الساحر إبتسم وحجزنا، وقال، في نغمة موثوقة، أنا سأسكت العاصفة، عندي القوّة لعمل ذلك. وإرتفع، يؤمىء بشكل متجبّر بأيديه مرارا وتكرارا، لإبعاد الغيوم، والعاصفة، مستخدماً صافرة سحرية مصنوع من الخشب؛ لكن العاصفة لم تجبه، بل إنها ضاعفت عنفها. وبعد الفشل، انتابتنا رغبة مستولية علينا للسخرية منه، وبدأنا ركضا نحو المساكن الأقرب، وتركنا الساحر العاجز إلى كفاحه السحري(٨٢).

وقد وجد الرحالة شوينفورث أمام منزل أحد الأشخاص في لاتوكا قرع به سبعة ثقوب معلق بقطعة من القش. وعرف أنه كان لإمرأة فقدت العديد من الأطفال، وأنه سحر لمنع تكرار الكارثة(٨٣). أيضاً، حرص أهالي منبوتو علي امتلاك الجذور التي تعالج العجز والعقم(٨٤). وكان أهالي الدينكا يتمرغون برماد روث البقر ويزعمون أن له قوة سحرية علي شفاء الجروح(٨٥).

كان الاعتقاد في قدرة السحر والتعاويذ، علي إمراض الناس، أو حتي موتهم، ينتشر على نحو واسع في جنوب السودان بشكل عام والأنيروا Unyoro وأوغندا بشكل خاص(٨٦) كذا، إعتقد الأهالي بالقدرة السحرية للعين الشرّيرة،

التي تشمل سحر الخضار أو الطعام الحيواني بعيونهم، وقدرتها علي جلب الآلام العنيفة في المعدة، فور تناول الطعام المسحور(٨٧). وقد قطعوا قواطع الأطفال العليا قبل االسفلي بسبب الخوف من جلب سوء الحظ، وعندما كانت العملية تحدث، كان يستدعي الساحر ماهندو mhandua حالا لأداء بعض الرقص لحماية الطفل. مثل هذا الرقص، كان يشكّل العلاج واسع الأنتشار للمرض في الأنيروا وأوغندا. (٨٨)

ولقد اعتقدوا بقدرة العين الشريرة، علي سبيل المثال، بلاد مومبتو Mambettu انتشر فيها هذا الاعتقاد بشكل واسع، بل وأنه كان مرتبطاً عندهم في كل عمل الحياة؛ فالأمراض، الموت، عاصفة تدميرية، موت حيوان، باحتراق كوخ، جميعها مفترضة لكي يكونوا نتيجة عين شرّيرة. وعند تلك اللحظة، يأتي دور المعالج أو الساحر أو في لغة مومبتو "ناتو nuto"، حيث يذعن للمحن القضائية المختلفة، طبقا لجاذبية التهمة؛ وكان يستخدم فيها (القطّة والسمّ). وذلك من خلال قطّة برّية تكون مطبوخة، وتوضع قطعة صغيرة من اللحم تحت لسان المتّهمين، ثمّ يرغمون الفرد لملء فمّه بالماء، لكي يشطفه وبعد ذلك يبصقه، وإذا إحتفظ الفم بقطعة اللحم، يعلن بأنه بريء؛ وإن لم يكن فهو مذنب. وقد يلجأ الساحر، إلي برهان آخر يتضمّن خليطًا من أعشاب سامّة يسقيه للمتهمين. وإذا كان المتهم بريئًا فإنه سيلفظه؛ وإذا كان العكس فسوف يموت منه. وفي جميع الأحوال، فإن علي الساحر أن يثبت التهمة، وإذا لم يثبتها فإن مصيره يكون القتل(٨٩).

وكان الأقزام يسكنون مستعمرات عديدة صغيرة، مستقلة، بها رجال مخيفون وفق تعبير أحد الرحالة، ويدعون أنفسهم إيفا Efe وكانوا يتمركزون جنوب ساندیها Sandeh، و بين ميجا Mege، وماجو Maigo،ومنوفو Monfu، وقبائل مابدو Mabode، ويدعى أكاكا Akka من قبل مارابيتو Marabettu، وتيكي تيكي Tiki Tiki في ساندیها وفوشو Voshu من قبل منوفو، وأفيتي Afiti من قبل مابدو. ويسمع اسم تيكي تيكي أيضا في بلاد مامبيتو. وكانوا

يتميزون بالجلد المحمّر الأسمر، ومغطي بالشعر بشكل سميك، ويسكنون الغابات. ولم يكن لديهم أدوية، لا سحر، ولا خرافات، وليس حتى العين الشرّيرة. وفي حالة الموت، كانوا يدفنون الجسم في المكان ذاته حيث حدث الموت، بدون مراسم أو أيّ إشارة للذكرى المستقبلية. وظلّ الموت لا يضطهد عقولهم، ولم يأخذ الحزن أي قبضة في قلوبهم، أيّ غذاء مقبول لهم. يأكلون لحم الفيلة، جواميس، خنازير، وغزالًا، بالإضافة إلى ذلك جرذان، جراد، سمك، زواحف، ونمل أبيض..إلخ(٩٠).

خامساً– مكافأة السحرة في السودان:

إعتبر أهالي السودان الأطباء بشكل عام مسؤولين عن حياة مرضاهم(٩١). لذلك فإن الأطباء كانوا ينتظرون من الأهالي أما الثواب الكبير أو الفناء الأبدي. وهذا الأمر انعكس علي منزلة السحرة والأطباء.

١. منزلة السحرة والمعالجين.

كان شيخ القبيلة في أعالي النيل يمَارَس السلطة على بقية السكنة ليس فقط بفضل ثروتة المتفوقة، ولكن أحياناً من مهارته في فن السحر(٩٢). وقد ذكر بيكر أن الطب هو مفتاح القلوب في جنوب السودان، ونصح المسافرون بحمل الأقراص الطبية معهم لنيل إعجاب الأهالي(٩٣). لذا فقد تمتع السحرة والمعالجون بشكل عام بمكانة كبيرة لدي الأهالي.

هذه المكانة الكبيرة التي يتمتع بها المعالجون دفعت الرحالة ولسون إلي نصح المسافرين الأوربيين بالفوز بمشاعر الأهالي عن طريق الطب، فكتب" تعتبر المعالجة الطبية أفضل وسيلة للفوز بمشاعر وود المواطنين في أفريقيا، ويجب علي كل المسافرون، وخصوصا المبشرين، أن يحيطوا أنفسهم علماً بعناصر الطب والجراحة. مثل تضميد الكسور، وربط الشرايين، و العمليات الصغيرة. ويجب عليهم أيضاً أن يزوّدوا أنفسهم بمجموعة جيدة من الأدوية والنسيج الكتاني والضمادات، وأن يحملوا معهم محفظة جيب صغيرة تشمل الأدوات الجراحية، علي أن تؤسس مستشفي في كل المحطات التي يستقر فيها الأوربيون لمعالجة المحليين(٩٤).

وكان الأهالي خاصة في الجنوب يعتقدون أن الأطباء يعالجون بالكلمة، مما جعل الرحالة ويلسون يكتب" هناك صعوبة عظيمة في جعلهم يدركون بأنّ علاجنا يتطلب وقتًا، وليس من السحر"[٩٥].

وقد اعتقد الأهالي أن الساحر يحمل سلطات خارقة، وفي هذا المعني يقول الرحالة جوزيف وليامز في مؤلفه " " حينما نعسكر في آي مكان لمدّة يوم أو عدة أيام، يأتي الكثير من المرضي لزيارتنا. وقد ظهروا بشكل غير منتظم مولعين بحبوبي، ويبتلعونها مع نفس القدر من الطمع التي يقوم بها الأولاد في بلادنا مع المصاصات، هم لابد وأن اعتقدوا بأنّني وهبت سلطات خارقة تقريبا في العلاج." ثم عرض بعض الحالات التي جاءته" ولد واحد جاء لي وقد خلع له فخد قبل سنة أو قبل ذلك ويمشي أعرج؛ شخص آخر كان فاقد البصر منذ سنتان، تمنّى بأنّني يمكن أن أعالجه لأجعله يري ضوء الشمس ثانية " ومضي يكتب، "أزداد مرضاي يوم بعد يوم في كسلا، رأيت كثيرا ٦٠، ٧٠، أو ٨٠ مريضًا في اليوم[٩٦]. كَان عندي خزانة أدوية كبيرة، بكل الأقراص الضرورية، لكني انزعجت جداً بسبب النساء العربيات، حيث كانت العديد مِنهن قاحلة، واللواتي أصررن على تزويدهم ببعض الطبّ الذي يُزيل وصمة العار هذه ويُعيدهم مثمرة. وقد كان ممانعتهم دون جدوى، لذا أعطيتُهم عادة جرعة صغيرة مِن عرق الذهب، بكلمات تعتبر مريحة إلى العربي، "إن شاالله." في نفس الوقت وضحت بأن الطبَّ كان من القيمة الصغيرة لتحقيق هذا الغرض[٩٧].

٢. مكافأة السحرة والمعالجين

يمكننا معرفة مكافأة السحرة والمعالجين مما حصل عليه الرحالة وليم جوزيف نظير معالجته لعدد من المرضي، فكتب "أنا كنت قادراً في أغلب الأحيان على إحداث العلاج في بعض المرضي، وإغاثة بعض حالات أخرى، عندما عدنا جاء العديد من المرضى الممتنين لشكري؛ واحد يعطيني البعض من الدرة. آخر أعطاني حليبًا، وسكينًا، ورمحًا، وخروفًا..إلخ[٩٨]. ومثل هذه السلع والأشياء كانت الأجر الطبيعي للسحرة والمعالجين في المناطق الأسلامية

والعربية من السودان وحيث كانت النقود فيها نادرة جداً[٩٩].

وأما بالنسبة للعقاب في حالة الفشل أو موت المريض فقد كان شديداً في بعض الحالات، وأبرزه ما سجله الجراح والضابط الحربي الإنجليزي مانسفيليد باركنز Parkyns، ١٨٢٣ – ١٨٩٠م، والذي طاف بمناطق الحبشة وسواكن والنوبة وكردفان في بداية أربعينيات القرن التاسع عشر، وله كتاب مشهور هو "الحياة في الحبشة Life in Abyssinia ". وفي سواكن قام بالفحص على عدد كبير من المرضى، وسجل في كتابه أنه قابل طبيبا المانيا جاء إلى سواكن لاعتقاده بأنه سيكسب من ممارسته لمهنة الطب فيها أكثر مما سيكسبه في ألمانيا. غير أن آماله في الثراء باءت بالخسران عندما عالج عربيا مريضا أصيب بجروح خطيرة في إحدى المعارك كان من ضمن أوائل مرضاه. ورغم كل علاجات ذلك الطبيب فقد مات المريض. وحمل أقرباء المتوفى الطبيب الألماني مسئولية وفاة الرجل، وقاموا بحمل الألماني إلى خارج أسوار المدينة وقطعوا جسده قطعة قطعة إلى أن مات تعذيبا[١٠٠].

أما بالنسبة إلي المكافأة في المناطق الوثنية والبدائية فقد كانت عبارة عن عدد من التجهيزات والعنزات. علي سبيل المثال، كان الساحر والمعالج كاتشيبا Katchiba مبجلًا جدا بين الناس في " أبو"، وكان يهدّد بصبّ العواصف و البرق فوقهم إلى الأبد، مالم يجلبونه بالعديد من سلال الذرة. وكذا يلعن العنزات والطيور، أو يهدد بذبول المحاصيل، ولم يكن هناك ضرائب معيّنة، لكنّه كان يتّصل من حين لآخر على البلاد لعدد معين من العنزات و التجهيزات. كان يقول دائماً "لا عنزات، لا مطر بدون جلب التجهيزات؛ ذلك عقدنا" ولم يكن هناك رجل يفكر بالبدء برحلة بدون بركة الرئيس كبير السن (كاتشيبا)؛ وكان يسحر كلا من الكوخ والمريض ضد الموت، وكانت مواضيعه لها الثقة الأكثر والشاملة في قوته؛ وكان له سمعة عظيمه جدا بين القبائل البعيدة التي كانت تستشيره كثيرا، وتستجدى مساعدته كساحر[١٠١].

علي كل حال، كان ينتشر السحرة وصيادلة المطر بشكل كبير جدا في

أفريقيا، ويبجّلون من قبل الناس، وينتزعون مكسباً كبيراً من صناعتهم. ويمارسون هذا الإمتياز بموافقة الرؤساء. ويواجه فشلهم بإمتعاض عامّ، يجد التعبير عنه في أعمال العنف. وفي بعض الحالات عندما يكشف مكرهم وعجزهم، يكون الموت عقاباً لهم وكان الاحترام والتبجيل المقدمة لصيادلة المطر أعظم من المقدم لرؤساء البلاد. لكن في أغلب الأحيان كان مصيرهم القتل، خصوصا عندما فشل التوقّع ولم يؤكّد بالحقائق(١٠٢).

يقول الرحالة جوتانو Gaetano Casati: "رأيت رجلاً ربطت أيديه بالحبال بإحكام، وكان يكسو وجهه التضايق، وضرب بقسوة. وكان يطل بوجه معذّب، مرتجف في كلّ طرف، وسلّم نفسه لليأس تقريباً". فسألت أحد الحشود "من ذلك الرجل؟ "، "وما الجريمة التي إرتكبها؟ فأجاب" "هو ساحر، وهم يريدونه أن يحرّر الضحية من النوبة التي حاكته، " فسألته "ما هذه النوبة؟ فأجاب "من الحقد الصافي، الذي جعل أحد أصدقائنا يصبح مريضًا جدا، وكلنا حزنا حوله، إنّ الزميل الفقير على أعتاب الموت، ومالم تُصرف عنه هذه النوبة بسرعة، سيموت بالتأكيد." وسألته. ما مصير الساحر ؟ فأجاب :" هم سوف يأخذونه الآن إلى مسكن الرجل المريض، وسوف يضع تحت الحراسة في كوخ مجاور. سيكون مجهزًا له، أدوات طبية، وبيرة، وتبغًا، وكلّ شيء يمكن أن يحتاج إليه ؛ وعندما يتعافى الرجل المريض سوف يكافئ بسخاء ويرافق إلى بيته بالغناء والموسيقى." ثم سألته "ماذا لو مات الرجل المريض ؟. فأجاب "طبقاً لتقاليد الأزاندي، سيوضع أمام محكمة الملك، التي تحكم عليه بالموت بعد أن تستشير مهتفي الوحي." وعلق الرحالة قائلاً " هنا العدالة حادّة وصارمة؛ وقاسية، وأحياناً حمقاء "(١٠٣).

مثال أخر، يقول بيكر أنه سمع ضوضاء عظيمة من الأصوات، ونفخ قرون في اتجاه سكن الساحر كاتشيبا، فأرسلت لاستفسار السبب. وقد ظهر الساحر كبير السن غاضباً ومتحمساً في نفس الوقت. وقال، بإنّ شعبه سيئ جدا، وبأنّهم قاموا بهذه الضوضاء لأنه لم يزودهم بزخات المطر، كما أرادوا

لبذر محصولهم، حيث لم يكن هناك مطر لمدة إسبوعين تقريبا. وتساءل الساحر، كيف أعطيهم المطر وهم لا يعطونني العنزات؟ وقال لبيكر، أنت لا تعرف أهلي؛ حيث أكون أحمق إذا أعطيتهم المطر قبل أن يعطوني العنزات، هم يدعوني أجوّع! لا، لا! دعهم ينتظرون — إذا هم لا يجلبون الذرة، العنزات، الطيور، البطاطة الحلوة، المريسة، وكل ما أحتاج، لن تسقط قطرة ثانية من المطر في أبوة Obbo. ثم قال لبيكر، هل تعلم أن أهلي هدّدوا بقتلي مالم أجلب المطر؟ ولن أجلبه لهم؛ أنا سأذبل المحاصيل، وأجلب الطاعون على قطعانهم. ويعلق بيكر علي الحوار، فكتب : " رأيت بأنّ كاتشيبا Katchiba كبير السن كان في معضلة عظيمة، وبأنّه لم يعرف كيف يخرج من الورطة. علي كل حال، كان قتل الساحر شيئًا مشتركًا بين القبائل الجنوبية للتضحية إذا فشل في جلب المطر[١٠٤].

وقد بدأت الإدارة المصرية في أواخر عهدها بمحاربة السحرة ونظمهم في العلاج في المناطق التي كانت قبضتها الأمنية فيها قوية. علي سبيل المثال، في عام ١٨٧٨ قامت الإدارة المصرية بالقبض علي أحد أولئك السحرة والمشعوذين بمديرية التاكة وعثر في حوزته علي بعض الكتب والأوراق وعروق الأشجار وبعض كتب النحاس وغيرها. ثم أودع السجن جزاء ممارسته لمثل هذه الأمور بين عامة الناس[١٠٥].

ويتضح مما سبق ان مهارة المشعوذين هذه لا مثيل لها سوي سذاجة من يسعي إليهم من المرضي. وفي الحقيقة، كان المعالج يمارس نوعاً من العلاج النفسي بحسب المريض وتقدير دوره الاجتماعي، وروابطه العائلية ومنزلته داخل العشيرة، أو القبيلة المنتمي إليها.

ملحق(١)

السودان في عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩)

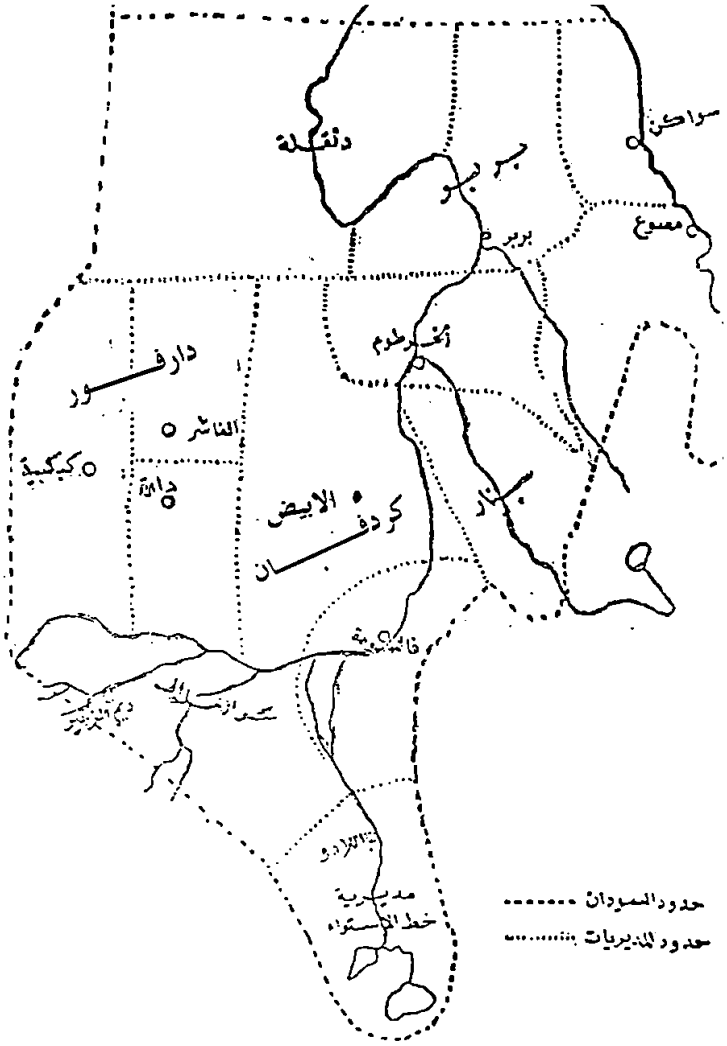

المصدر : مكي شبيكة، **السودان عبر القرون**، ص٥٤٩.

ملحق (٢)

خريطة توضح الجنوب السوداني

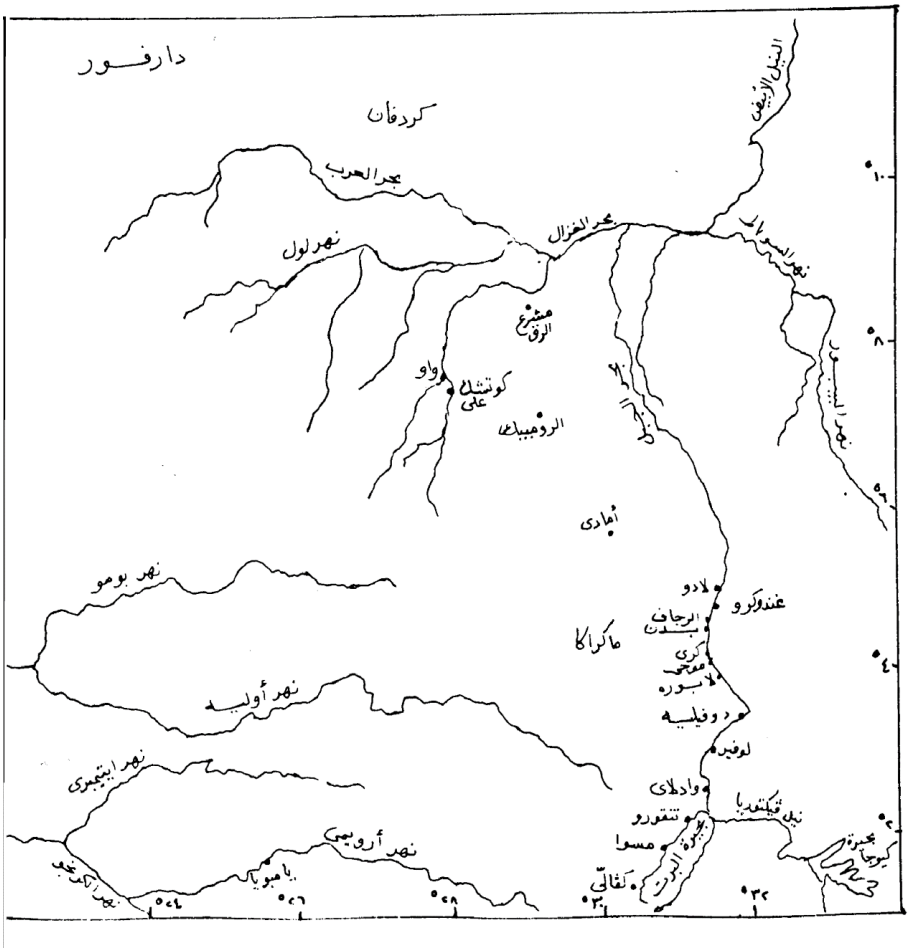

المصدر : محمد سيد محمد، " المديرية الأستوائية ١٨٦٩-"١٨٨٩، **مجلة البحث العلمي والتراث الأسلامي**، السعودية، ع ٦، ١٩٨٣، ص٣٤١.

الهوامش:

(١) من المعروف أن الطب بشكل عام، بدأ سحرياً ثم دينياً، ثم أصبح بالتدريج علمياً أي أصبح نتيجة للملاحظة الدقيقة والمنطقية المؤسسة علي التجريب. ومن الصحيح أيضاً، ان الأنسان اضفي قوة سحرية علي ما لم يستطع فهمه وعلي ما يفزعه وعلي كل ما لم يستطع إدراكه عقلياً بشكل كامل.

(٢) نعوم شقير، **جغرافية وتاريخ السودان**، ثلاثة أجزاء، (دار عزة للنشر والتوزيع،٢٠٠٧)، الجزء الأول، ص٢٨٦.

(٣) حمدنا الله مصطفي حسن،**التطور الاقتصادي والاجتماعي فى السودان ١٨٤١-١٨٨١**، الطبعة الأولى (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥) ص٣٧٩-٣٨٠.

(٤) نعوم شقير،مصدر سابق، الجزء الأول، ص٢٨٧.

(5) Samuel Baker, **The Nile Tributaries of Abvssinia and the Sword of the Hamran Arabs**, (London, 1868)p.186**.**

(6) G. Melly, **Khartoum and the Blue and White Nile.** 2 vols. (London, 1851), vol.2,p.254.

(7) EE V. C. T. Wilson, **Ugandaand the Egyption Soudan**, 2vol, (London: Sampson Low, 1882),Vol.2,p.250.

(8) Ibid.,Vol.2,p.251.

(9) (Jay Spaulding," Pastoralism, Slavery, Commerce, Culture and the Fate of the Nubians of Northern and Central Kordofan Under Dar Fur Rule, "ca." 1750-"ca." 1850" **The International Journal of African Historical Studies**, Vol. 39, No. 3 (2006), p.21.

(١٠) حمدنا الله مصطفي حسن، مرجع سابق، ص٤١١-٤١٢

(11) Georg Schweinfurth, **Emin Pasha in Central Africa. Being a Collection of His Letters and Journals**,(London, 1888)pp.95-96.

(١٢) حمدنا الله مصطفي حسن، مرجع سابق، ص٤٠٨.

(١٣) المرجع السابق، ص٣٩١.

(14) Samuel Baker, **Ismailia. A Narrative of the Expedition to Central Africa for the Suppression of the Slave Trade,**2Vol (London, MacMillan and Co., 1874),Vol.1,p.429.

(*) بسطت مصر حمايتها علي مملكة أوغندا سنة ١٨٧٤، علي يد الكولونيل شالي لونج بك Chaille Long، وهو ضابط أمريكي، دخل في خدمة الجيش المصري سنة ١٨٧٠، وعين سنة ١٨٧٠ رئيساً لأركان حرب غردون باشا حين ولايته علي مديرية خط الأستواء، وأخلص النية لمصر، وخدمها بنزاهة وأمانة أثناء مقامة في السودان. وذكر

لونج بك في كتابة (مصر ومديرياتها المفقودة) أنه هو الذي انفذه غردون إلي عاصمة الملك متسيه ملك أوغنده، وأنه أدي مهمته، ووصل إلي عاصمة أوغنده وعقد مع ملكها سنة ١٨٧٤، معاهدة بمقتضاها قبل وضع مملكته تحت حماية مصر، وقد أرسل المعاهدة إلي الخديوي إسماعيل، الذي أبلغ من جانبه الدول أن مصر ضمت إليها جميع البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وبحيرة ألبرت.أنظر

عبدالرحمن الرافعي، **عصر اسماعيل**، جزءان، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣)، الجزء الأول، ص ١٢٥-١٢٦.

(15) Gaetano Casati, **Ten Years in Equatoria and the Return with Emin Pasha**, 2vols. (London, Frederick Warne & Co., 1891),Vol.2.,pp.50-51.

(16) Samuel Baker, **The Albert N'Yanza: Great Basin of the Nile and the Exploration of the Nile Sources,** (London, MacMillan & Co., 1866),Vol.2.,p.51.

(١٧) انتشرت الديانات الافريقية القديمة والسحرية بين قبائل وسط افريقيا وعرفها سكان النيل السوداني قبل انتشار المسيحية والدين والحضارة الاسلامية، وتمشت تلك الديانات مع الوثنية الفرعونية خاصة بين قبائل الشلك وأعالي النيل الأبيض وغرب السودان وقبائل الدجو والتنجور والكنجاره والبراجوب. وقد بدأت الديانات الوثنية تصاحبها فكرة السحر لحاجة الانسان لفهم الطبيعه وفهم غرائبها. وقد =إستغل بعض الأفراد الموهوبين أو الذين اعطتهم الطبيعة بعض القدرات للأحساس بخفايا النفوس ويتولوا تفسير تساؤلات الناس عن الطبيعة وعن الأمراض، واختص بعض الملوك ببعض هذه الصفات وجند بعضهم بعض الموهوبين للقيام بهذا الدور في معرفة امراض الناس وخفايا تفكرهم ونفوسهم وقد إستطاعوا بأعتقاد الناس لقدراتهم أن ينجحوا لحد بعيد في تهدئه كثير من الحالات إن كان بالتأثير النفسي أو الخداع أو العقاقير المستخرجه من النباتات أو استعمال التعاويذ وقد ساعد علي إنتشار هذه العادات استعداد الناس لتقبلها وخوفهم من معارضتها أو الوقوف أمام السحرة. ورغم دخول المسيحية ثم الأسلام في السودان خاصة المناطق النيلية الشمالية ومنطقة الغرب، إلا أن بقايا العادات الوثنية المتعلقة بالطبيعة وتقديس الحيوان والأعتراف بسلطان بعض الأفراد علي فهم أسرار الطبيعة والقيام بدور الراهب والساحر ظلت موجوده، وتجلي ذلك بشكل واضح في الصوفية

التي لا تختلف كثيراً في طقوسها عن الطقوس الأفريقية القديمة خاصة في استعمال التعاويذ لعلاج الامراض أو إلحاق الضرر بالغير. انظر :

حسب الله محمد أحمد، **قصة الحضارة في السودان**، (الخرطوم، دار يوليو للترجمة والنشر، ١٩٦٦) ص٣١١.

(١٨) علي سبيل المثال، كان متيسيا Mtesa ملك أوغندا شخصية مؤمنه جداً بالخرافات، وكان يعتقد بقوة الألهة وقدرتهم، وإذا رأي أحدهم بالمنام، يأخذها علي إنها فأل للمرض، ويقدم على الفور قرباناً للإلهة من البشر للتضحية بهم وتجنباً لغضبها، وقد وصلت أعداد البشر المقدمين للتضحية – في بعض الأحيان– إلى عدة من المئات. أنظر:

EE V. C. T. Wilson,op.Cit.,vol.1,p.199.

(١٩) في ذلك الوقت، كان دين اليوغندا Waganda يعتبر في بعض النواحي أكثر ذكاءً من العديد من الأمم السوداء، حيث كانت عبادة الأصنام غير معروفه، ولم يكن لديهم صور، ولا أي رمز لآلهتهم. وكانوا يؤمنون بالكائن الأسمى الذي خلق العالم والبشرية، والذين كانوا يسمونه كاتوندا Katond، أوالخالق، لكنهم لم يقدموا أي عبادة له، كما أنهم إعتبروه أنه تعالى جداً لدفع أي اعتبار للبشرية. وفي المقابل، كانوا يقدمون العبادة لآلهة أو شياطين أدني دعوا (لوباري lubari)، هذه الشياطين كان يفترض أنها تسكن بعض الأماكن أو النواحي، وكذا ممارسة سلطات خاصة، وكانت عبارة عن كائنات مختلفة. وكان رئيس هذه الإلهة المخيف والمعبود الأكثر خشية هو الإلهة موكسه Mukusa أو لوباري. وهذا الإله كان من المفترض أن يعيش في بحيرة نيانزا وله القدره علي السيطرة على مياهها، وأيضا لممارسة تأثير كبير على بلاد اليوغند. وذلك من خلال الدخول إلى جسد شخص ما من وقت لآخر، إما رجل أو امرأة، وعند تلك اللحظة يصبح الشخص من الآن فصاعدا أوراكل (وكيل) الله، ومن المفترض أن يمتلك قوى خارقة للطبيعة، ليكون قادرة على علاج الأمراض، لحجب المطر، جلب الحروب والمجاعات والأوبئة على الأرض، وتوقع الأحداث. هذا الشخص هو الممثل أو تجسيد الإله، كان له تأثير هائل على عقول الناس والرؤساء، وبالتالي كان يمارس بشكل غير مباشر سيطرة مهمة على حكومة البلاد. وعندما كان المواطنيين على وشك القيام برحلة، كانوا دائما يقومون بتقديم القرابيين لهذا الروح، لإرضائها؛ وذلك من خلال

مراسم يتم فيها جمع الزوارق معاً علي بعض المسافة من الشاطئ، ويتقدم رئيسهم، يضع بعض الموز أو غيره من المواد الغذائية على مجداف، والاحتفاظ بها علي الماء، ويصلي إلى الإله من أجل أن يمنحهم رحلة مزدهرة، وأن يرجعهم بأمان إلى ديارهم، ثم كان يرمي ثمرة في الماء، ويتسول إلي الإله ليأتي ويأخذها. وكان أبرز الألهة الآخرين من الشياطين هم تشيوكا ChiwukaونينداNenda، وكانوا آلهة الحرب، =ويفترض أنهم كانوا يسكنوا أشجار معينة في أجزاء مختلفة من البلاد. وقبل الذهاب إلى المعركة، كان المحاربون يذهبون إلي هذه الأشجار، من أجل الصلاة وتقديم القرابين للآلهة، وتتكون القرابين من الحيوانات الحية والماعز والأغنام والماشية، وكان لابد أن يكون لون هذه الماشية هو الأسود، وكانت تعطى لأولياء الأمور من هذه الأشجار، الذين يتلقونها نيابة عن الله المسمي لوباري، وكان هناك معبود آخر يدعي ندولا Ndaula، ويبدو أن أسمه متطابق مع أحد ملوك أوغندا السابقين؛ ومن المفترض أنه يقيم على قمة جبل غرامامباراجارا Grambaragara، وهو مسئول عن جلب مرض الجدري، وهو معبود كتجسيد لذلك المرض. وكان يعبد الرعد أيضاً. وكان هناك آلهة نهرية أيضاً في الأجزاء المختلفة من البلاد، وكان يقدم لها قرباناً من البشر أحياناً. ويظهر أيضاً أن =الملوك السابقون للبلاد إعتبروا نصف آلهة، وقبورهم كانت تراعي بالعناية الدينية، تحت الإشراف الثابت لأحد الرؤساء الرئيسيين للبلاد، وكان يقدم لها قرباناً من البشر أحياناً من حين لآخر. أنظر:

i. EE V. C. T. Wilson,Op.Cit.,vol.1,pp.207-208.

(20) Samuel Baker, **The Nile Tributaries of Abvssinia,**Op.Cit.,p.8.

(21) Ibid.,p.110.

(*) الدستر: هو أيضاً الزار وينطقه الشايقية الظهر وكذلك اسمه الريح الأحمر وكذلك يعرف عند رجال الدين. أنظر : عباس محمد الزين، **صور من حياة الشايقية في القرن التاسع عشر، الجزء الأول، (**الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1995**)** ص١٠٤.

(٢٢) المرجع السابق، ص١٠٤-١٠٥.

(23) Joseph H. Churi, **Sea Nile, the Desert, and Nigritia: Travels in Company with Captain Peel, R.N., 1851-1852. With Thirteen Arabic Songs, as Sung by the Egyptian Sailors on the Nile**,(London,Published By The Author,1853)p.269.

(٢٤) محمد بن عمر التونسي، **تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٥) ص ٢٧٣.

(25) Gaetano Casati,Op.Cit,Vol.1.,pp.79-80.

إن الممارسات الطبية التجريبية للسحرة، والمعرفة التي تراكمت بواسطة جماعة إثنية علي مدار أجيال متعاقبة لا يمكن تجاهلها، حتي إذا كان هؤلاء السحرة لا يعرفون مبادئ الطب التجريبي. لكنهم تثبتوا علي مدي القرون من أن الأسباب نفسها تؤدي غالباً إلي النتائج عينها. فالكسر الخطير العظام يمكن أن يؤدي إلي الغرغرين وموت المصاب، كما تؤدي بعض النباتات المدروسة جيداً والمستخدمة بشكل جيد إلي الشفاء من الآلام وتبعث علي النوم، أو بالعكس من الممكن ان تسمم وتقتل. وكذلك مارس السحرة منذ آلاف السنين جراحة إثنية بدائية باستخدام وسائل بسيطة استجابة لاحتياجات جلية، مثل تثبيت الكسور بواسطة فروع الأشجار أو الطين منعاً للألم وتعجيلاً بالشفاء، ومثل سد الجروح النازفة بالرماد اوالزبد او القطن أو عصارة بعض النباتات أو خياطتها بواسطة الخيط والأبرة، إضافة إلي استخراج الأجسام الغريبة كرأس سهم مثلاً باستخدام الملاقط. يضاف إلي ذلك أن المعالج كان علي دراية جيدة بالمجتمع الذي يطببه بما انه نشا فيه. عالم بدواليبه وتركيبه الطبقي وآلياته وسلوكياته الجمعية وبالتالي لا يطبق أسلوب العلاج نفسه علي كل أفراد الجماعة.أنظر :

جان شارل سورنيا، **تاريخ الطب**، ترجمة إبراهيم البجلاتي،(الكويت، عالم المعرفة،٢٠٠٢) ص١٣٤.

(26) Lawrence Mire,"**Al-Zubayr Pasha and the Zariba Based Slave Trade in the Bahr al-Ghazal, 1855-1879," Slaves and Slavery in Muslim Africa**. Vol. II (London: Frank Cass, 1985),p.151.

(٢٧) ترك لنا الرحالة السويسري جون لويس بيركهاردت (الذي زار الدامر عام ١٨١٤م) وصفا دقيقاً للمدينة وهي تحت إدارة حفيد حمد بن المجذوب. ويلقي وصفه للمدينة الضوء على كثير من الجوانب الخاصة بدور المعالج "تعد الدامر قرية كبيرة أو مدينة صغيرة بها نحو ٥٠٠ بيت. وهي نظيفة ومرتبة بأكثر مما يشاهد في بربر، إذ أن بها مبانٍ حديثة، وتخلو من الأطلال والخرابات. وغالب بيوت المدينة مبنية بطريقة منتظمة، وبها شوارع مستقيمة، وتوجد بها الأشجار الظليلة في أماكن كثيرة. وتسكنها قبيلة عربية هي "المجاذيب"، التي ينسب أفرادها أصلهم للجزيرة العربية. ومعظم هؤلاء

من "الفقرا". وليس للسكان شيخ، ولكن لديهم من يطلقون عليه "الفكي الكبير"، هو رئيسهم الفعلي الذي يقضي بينهم ويفصل في كل منازعاته. واشتهرت عائلة المجاذيب بوجود العديد من المعالجين الروحيين (في الأصل "محضري الأرواح") وأصحاب المعجزات والكرامات، الذين لا يخفى عليهم شيء، وليس بمقدور أحد مقاومة تعاويذهم. ويبدو أن شؤون تلك المدينة كانت تدار بحكمة بالغة. فقد كان كل جيرانها ينظرون بعين الاحترام لفكيا الدامر، بل كان يهابهم ويحترمهم حتى أفراد البشاريين المَخُوفِّي الجانب (في الأصل الغُدَّارّ .treacherous المترجم)، فلم يتعرض منهم أحد قط لسكان الدامر بسوء في حلهم وترحالهم إلى سواكن. وكانوا يخشون من أن يقوم فكيا الدامر بوقف المطر عن مناطقهم مما سيفضي لنفوق بهائمهم.... وتوجد بالدامر وعلى الطريق المؤدية إليها العديد من الآبار العامة."أنظر :

(٢٨) جون لويس بوركهارت، رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد إندراوس، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٧) ص١٧٩-١٨٠.

(٢٩) ريتشارد هيل، **على تخوم العالم الإسلامي حقبة من تاريخ السودان ١٨٢٢-١٨٤١**، ترجمة عبدالعظيم محمد عكاشة،(الخرطوم،المطبوعات العربية للتأليف والترجمة،١٩٨٧)ص١٢٣.

(30) Samuel Baker, **The Nile Tributaries of Abvssinia,**Op.Cit.,pp.108.

(31) gnatius Pallme, **Travels in Kordofan,** (London, 1844)p.193.

(32) EE V. C. T. Wilson,Op.Cit.,Vol.2,p.**2.**

(33) G. Melly, Op.Cit.,Vol.2,p.178.

(٣٤) حمدنا الله مصطفي حسن، مرجع سابق، ص٤٠٨- ٤٠٩.

(٣٥) حمدنا الله مصطفي حسن، مرجع سابق، ص٤٠٤-٤٠٥.

(٣٦) التونسي، مصدر سابق، ص٢٤٣.

(37) A. J. Arkell," magic and medicine in Dar masalit" **Sudan Notes and Records**, Vol. 9, No. 1 (July, 1926), pp. 93-94.

(38) Samuel Baker, **The Nile Tributaries of Abvssinia,**Op.Cit.,p.109.

(39) Gaetano Casati,Op.Cit,Vol.1.,p.187.

(40) Samuel Baker, **Ismailia,** Op.Cit.,Vol.2,p.186.

(41) Gaetano Casati,Op.Cit,Vol.2.,pp.101-102.

(42) J. Petherick, "Land Journey Westward of the White Nile, from Abu Kuka to Gondokoro" **The Journal of the Royal Geographical Society of London**, Vol. 35 (1865),p.299.

(43) Rev. D. Oyler. "The Shilluks belife In The Good Medicine Men", **Sudan Notes and Records**, Vol. 3, No. 2 (APRIL 1920), pp. 110-111.

(44) Muhammad Fu'ad Shukri,**the Khedive Ismail and Slavery in the Sudan**, (cairo, Renaissance d'Égypte, 1938),p.121.
(45) J.C. Hurewitz, **Diplomacy in the Near and Middle East, a Documentary Record: 1534-19142**,(London 1956),p.213.
(46) Ibid.,p.214.
(٤٧) النور عثمان أبكر، **جوستاف ناختيقال وتاريخ دارفور**،(الخرطوم، الشركة العالمية للطباعة والنشر،٢٠١١) ص٢٨٩.
(48) Joseph H. Churi, Op.Cit.,p.243.
(٤٩) نعوم شقير، مصدر سابق، الجزء الأول، ص٤٨.
(٥٠) المصدر السابق، ص٤٠٤-٤٠٥.
(٥١) محمد بن عمر التونسي، مصدر سابق،ص ٣٢٢-٣٢٣.
(٥٢) لم يكن المرض هو العدو الوحيد الذي كان يحتاج للعلاج في المناطق الأستوائية، لكن التماسيح أيضاً؛ حيث كانت في تلك المناطق الوحلة شرسة جداً خصوصاُ في غندكروه. وكَان كثيراً من الأهالي في غندكروه عادةٍ يخضون بماشيتِهم سِباحَة ذهاباً واياباً، وكانت هذه المخلوقاتِ المكّارةِ مُتَعودة دائماً على قنص الضحايا في شكلِ بقرة، أوعجل، أو زنجي. وعاني العرب أيضاً. علي سبيل =المثال، ذهب إثنان من بحّارةِ التاجر المصري أبوالسعود ضحايا خلال يومين متتاليينِ. وعندما جاء بيكر بجنوده لفتح المناطق الأستوائية تعرض لنفس المشاكل من هجوم التماسح، والتي هرست إحداها ساق أحد جنوده، وكان العلاج هو بتر الساق. وأيضاُ تعرض جندي أخر لتهشيم ذراعه من قبل تمساح وكان العلاج أيضاً هو بتر الزراع المهشم. وأتبع بيكر طريقة أخري لعلاج المشكلة من الأساس وهي إطلاق النار علي آي تمساح يطل برأسه في النهر. أنظر :

Samuel Baker, **Ismailia,** Op.Cit.,Vol.1,pp.290-291.
(53) EE V. C. T. Wilson,op.Cit.,vol.1,p.208.
(54) Georg Schweinfurth, **Emin Pasha in Central Africa.**,Op.Cit.,p.34.
(55) Richard Gray,"The Southern Sudan ", Journal **of Contemporary History**, Vol. 6, No. 1, (1971), p.14.
(56) Georg Schweinfurth, **The Heart of Africa: Three Years' Traveland Adventuresin the Unexplored Regions of Central Africa from 1868 to 1871**, 2vols. (London, Sam pson Marston and Company, 1874),Vol.1,p.145.
(57) Georg Schweinfurth, **The Heart of Africa**,Op.Cit.,Vol.1,p.146.
(58) EE V. C. T. Wilson,Op.Cit.,Vol.2,p.47.
(59) Georg Schweinfurth, **Emin Pasha in Central Africa.**,Op.Cit.,p.59.
(60) Samuel Baker, **The Albert N'Yanza**, Op.Cit.,Vol.2.,p.210.
(61) Georg Schweinfurth, **Emin Pasha in Central Africa.**,Op.Cit.,pp.95-96.

(62) Samuel Baker, **The Albert N'Yanza**,Op.Cit.,Vol.1.,p.335.
(63) Samuel Baker, **The Albert N'Yanza**,Op.Cit.,Vol.1.,p.335.
(64) Ibid.Vol.2.,pp.199-200.
(65) Ibid.,Vol.2.,p.200.
(66) EE V. C. T. Wilson,Op.Cit.,Vol.2,p.**55.**
(67) Spaulding, Jay. 'The Evolution of the Islamic Judiciary in Sinnar," **in International Journal of African Historical Studies**. 10, 3(1977), p.322.

(٦٨) كتب الرحالة ولسون " يجني السحرة أو الفقرا في كردفان من خلال التعويذات الجلدية أموال جيدة، وهي تجارة مربحة بالنسبة لهم، والبعض منها كانت مخصصة لحماية مالكها من الطلقات النارية. وقد تقابلت مع رجل يعلق تعويذه جلدية حول رقبته مخصصة للحماية من الطلقات النارية، وأعطاني سجل طويل له من المغامرات أستطاع أن يهرب من الرصاص، بسبب هذا السحر الرائع. فسحبت مسدّسي بشكل هادئ، ووضعته في رأسه، عند ذلك دار وهرب مع توجيه النداءات العالية بالرحمة. بعد فترة، عندما علم بأنّني لم أنو الضرب. عاد؛ ومازحته إلى حدّ كبير، و أخبرته بأنّه لم يضع ثقتة =الكبيره في سحره الرائع. فأجاب "أوه، "، " أنه يحمي فقط من الأسلحة العربية، وليس من الرصاصات الأوروبية! أنظر:

EE V. C. T. Wilson,Op.Cit.,Vol.2,p.123

(69) James Bruce,**travels to discover the source of the Nile, in the years 1768, 1769, 1770, 1771, 1772, and 1773. 5** Volume,(London,1804),vol.4.p.214.

(٧٠) أمين سامي، **تقويم النيل**، ٦ مجلدات،الطبعة الثانية، (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢)، المجلد الثاني، ص٣٢٨.

(71) G.D.Hill, Colonel **Gordon in Central Africa. 1874-1879**, (London, 1881),p.212.

(٧٢) رودلف سلاطين، **السيف والنار فى السودان**،سلسلة تاريخ المصريين، الطبعة الأولى،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٩)ص١٩.

(73) Ahmed Abdel Halim "native medicine and ways of Treatment in the northern Sudan", **Sudan Notes and Records,** Vol. 22, No. 1 (1939)p.34.
(74) Ibid.,p. 50.

(٧٥) نعوم شقير،مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٢٨٠.

(٧٦) حمدنا الله مصطفي حسن، مرجع سابق، ص٤٠٥-٤٠٦.

(77) Oliver, Roland**. The Missionary Factor in East Afr**ica. (London, 19552),p.322.
(78) McEwan, Dorothea. **A Catholic Sudan-Dream. Mission. Reality. A Study of the Roman Catholic Mission to Central Africa and Its Protection by the Hapsburg Empire from 1846 to 1900**. (Rome, 1987)p.32.

(79) Muller, Harald. **Changing Generations: Dynamics of Generation and Age-Sets in Southeastern Sudan (Tooosa) and Northwestern Kenya** (TurkanaL (Saabrucken and Fort Lauderdale: Verlag Breitenbach Publishers, 1989),p.146.
(80) Samuel Baker, **The Albert N'Yanza**,Op.Cit.,Vol.1.,pp.374-375.
(81) Gaetano Casati,Op.Cit,Vol.1.,pp.216-217.
(82) Gaetano Casati,Op.Cit,Vol.1.,pp.132-133.
(83) Georg Schweinfurth, **Emin Pasha in Central Africa.**,Op.Cit.,pp.231-232.
(84) Ibid.,p.209.

(٨٥) نعوم شقير، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص٢٣١.

(86) Georg Schweinfurth, **Emin Pasha in Central Africa.**,Op.Cit.,p.93.
(87) Ibid.,p.94.
(88) Ibid.,p.95.
(89) Gaetano Casati,Op.Cit,Vol.1.,p.154.
(90) Ibid.,p.156-158.
(91) Mansfield Parkyn, **Life in Abyssinia: Being Notes Collected During Three Years' Residence and Travels in That Country,**2vol., (London, 1966)),Vol.1,P.75.
(92) Georg Schweinfurth, **The Heart of Africa**,Op.Cit.,Vol.1,p.
(93) Samuel Baker, **Ismailia,** Op.Cit.,Vol.2,p.505.
(94) EE V. C. T. Wilson,op.Cit.,vol.1,p.271.
(95) EE V. C. T. Wilson,op.Cit.,Vol.2,p.10.
(96) Josiah Williams, **Life in the Soudan : adventures amongst the tribes, and travels in Egypt in 1881 and 1882**,(London : Remington & Co., 1884)p.150.
(97) Samuel Baker, **The Nile Tributaries of Abvssinia,**Op.Cit.,p.**48.**
(98) Josiah Williams, Op.Cit.,p.179.
(99) Ibid.,p.179.
(100) Mansfield Parkyn,Op.Cit.,Vol,p.122.
(101) Samuel Baker, **The Albert N'Yanza**,Op.Cit.,Vol.1.,pp.317-319.
(102) Gaetano Casati,Op.Cit,Vol.1.,p.304.
(103) Gaetano Casati,Op.Cit.,Vol.1.,pp.174-175.
(104) Samuel Baker, **The Albert N'Yanza**, Op.Cit.,Vol.2.,p.5.

(١٠٥) حمدنا الله مصطفي حسن، مرجع سابق، ص٤١٠.

قائمة المصادر و المراجع

أولاً- المصادر :

أ- المصادر العربية :

- أمين سامي، تقويم النيل، ٦ مجلدات،الطبعة الثانية،(القاهرة،دار الكتب والوثائق القومية،٢٠٠٢).
- النور عثمان أبكر، **جوستاف ناختيقال وتاريخ دارفور**،(الخرطوم، الشركة العالمية للطباعة والنشر،٢٠١١).
- جون لويس بوركهارت، **رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان**، ترجمة فؤاد إندراوس، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٧).
- ريتشارد هيل، **على تخوم العالم الإسلامي حقبة من تاريخ السودان ١٨٢٢- ١٨٤١**، ترجمة عبدالعظيم محمد عكاشة، (الخرطوم، المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، ١٩٨٧).
- رودلف سلاطين، **السيف والنار فى السودان**، سلسلة تاريخ المصريين، الطبعة الأولى، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٩).
- عبدالرحمن الرافعي، **عصر اسماعيل**، جزءان، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣).
- محمد بن عمر التونسي، **تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٥).
- نعوم شقير، **جغرافية وتاريخ السودان**، ثلاثة أجزاء، (دار عزة للنشر والتوزيع،٢٠٠٧).

ب- المصادر الأجنبية :

- EE V. C. T. Wilson, Ugandaand the Egyption Soudan, 2vol, (London: Sampson Low, 1882).
- Gaetano Casati, **Ten Years in Equatoria and the Return with Emin Pasha**, 2vols. (London, Frederick Warne & Co., 1891).

- gnatius Pallme, **Travels in Kordofan,** (London, 1844).
- G.D.Hill, Colonel **Gordon in Central Africa. 1874-1879**, (London, 1881).
- G. Melly, **Khartoum and the Blue and White Nile.** 2 vols. (London, 1851).
- Georg Schweinfurth, **Emin Pasha in Central Africa. Being a Collection of His Letters and Journals**,(London, 1888).
- Georg Schweinfurth, **The Heart of Africa: Three Years' Traveland Adventuresin the Unexplored Regions of Central Africa from 1868 to 1871**, 2vols. (London, Sam pson Marston and Company, 1874).
- James Bruce,**travels to discover the source of the Nile, in the years 1768, 1769, 1770, 1771, 1772, and 1773. 5** Volume,(London,1804).
-
- Josiah Williams, **Life in the Soudan : adventures amongst the tribes, and travels in Egypt in 1881 and 1882**,(London : Remington & Co., 1884).
- Joseph H. Churi, **Sea Nile, the Desert, and Nigritia: Travels in Company with Captain Peel, R.N., 1851-1852. With Thirteen Arabic Songs, as Sung by the Egyptian Sailors on the Nile**,(London,Published By The Author,1853).
- Mansfield Parkyn, **Life in Abyssinia: Being Notes Collected During Three Years' Residence and Travels in That Country,**2vol., (London, 1966).
- Samuel Baker, **The Albert N'Yanza: Great Basin of the Nile and the Exploration of the Nile Sources,** (London, MacMillan & Co., 1866).
- **_____. Ismailia. A Narrative of the Expedition to Central Africa for the Suppression of the Slave Trade,**2Vol (London, MacMillan and Co., 1874).
- **_____, The Nile Tributaries of Abvssinia and the Sword of the Hamran Arabs**, (London, 1868).

ثانياً – المراجع العربية والمعربة :

- جان شارل سورنيا، **تاريخ الطب**، ترجمة إبراهيم البجلاتي،(الكويت، عالم المعرفة،٢٠٠٢).
- حمدنا الله مصطفي حسن،**التطور الاقتصادي والاجتماعي فى السودان ١٨٤١-١٨٨١**، الطبعة الأولى (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥).
- حسب الله محمد أحمد، **قصة الحضارة في السودان**، (الخرطوم، دار يوليو للترجمة والنشر، ١٩٦٦).
- عباس محمد الزين، **صور من حياة الشايقية في القرن التاسع عشر، الجزء الأول**، (الخرطوم، الدار السودانية للكتب، 1995).

ثالثاً – المراجع الأجنبية

- J.C. Hurewitz, **Diplomacy in the Near and Middle East, a Documentary Record: 1534-19142**,(London 1956).
- Lawrence Mire,"**Al-Zubayr Pasha and the Zariba Based Slave Trade in the Bahr al-Ghazal, 1855-1879," Slaves and Slavery in Muslim Africa**. Vol. II (London: Frank Cass, 1985).
- Muhammad Fu'ad Shukri,**the Khedive Ismail and Slavery in the Sudan**, (cairo, Renaissance d'Égypte, 1938).
- McEwan, Dorothea. **A Catholic Sudan-Dream. Mission. Reality. A Study of the Roman Catholic Mission to Central Africa and Its Protection by the Hapsburg Empire from 1846 to 1900**. (Rome, 1987).
- Muller, Harald. **Changing Generations: Dynamics of Generation and Age-Sets in Southeastern Sudan (Tooosa) and Northwestern Kenya** (TurkanaL (Saabrucken and Fort Lauderdale: Verlag Breitenbach Publishers, 1989).
- Oliver, Roland**. The Missionary Factor in East Afr**ica. (London, 19552).

رابعاً- الدوريات الأجنبية:

- Ahmed Abdel Halim "native medicine and ways of Treatment in the northern Sudan", **Sudan Notes and Records,** Vol. 22, No. 1

(1939).

- A. J. Arkell," magic and medicine in Dar masalit" **Sudan Notes and Records**, Vol. 9, No. 1 (July, 1926).
- J. Petherick, "Land Journey Westward of the White Nile, from Abu Kuka to Gondokoro" **The Journal of the Royal Geographical Society of London**, Vol. 35 (1865).
- Jay Spaulding," Pastoralism, Slavery, Commerce, Culture and the Fate of the Nubians of Northern and Central Kordofan Under Dar Fur Rule, "ca." 1750-"ca." 1850" **The International Journal of African Historical Studies**, Vol. 39, No. 3 (2006).
- **_____.**'The Evolution of the Islamic Judiciary in Sinnar," **in International Journal of African Historical Studies**. 10, 3(1977).
- Rev. D. Oyler. "The Shilluks belife In The Good Medicine Men", **Sudan Notes and Records**, Vol. 3, No. 2 (APRIL 1920).
- Richard Gray,"The Southern Sudan ", Journal **of Contemporary History**, Vol. 6, No. 1, (1971).